الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة والأدب العربي
تخصص: دراسات أدبية

Faculté des lettres et des langues

إشكالية الهوية في رواية
حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر
"لعز الدين جلاوجي"

مذكّرة مقدمة لنيل شهـــادة الماستر

من إعداد الطالبتين:
- ✓ سعدي أحلام
- ✓ دراجي كريمة

إشراف
- د. رشام فيروز

أعضاء اللجنة	الرتبة
1-سالم سعدون	أ-محاضر "ب" ..... رئيسا
2- رشام فيروز	أ-محاضر "ب" .....مشرفا ومقررا
3- عبد الرحمن عبد الدايم	أ-مساعد "أ" .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014

الإهـــــداء

إلى رمزي الدفء والحنان والتضحية والعطاء...أبي وأمي حفظهما الله

إلى معنى الحنان والتفاني جدي وجدتي أطال الله عمرهما

وإلى الشمعة المتقدة التي ننير ظلمة الحياة " ريان"

إلى روح خالتي الحبيبة رحمها الله التي يحزن القلب لذكراها ولم أتمنى يوما فراقها وأبدا لن أنساها

أنا اليوم كما أرادتني أن أكون

أحلام

إلى من يستحق الشكر والتقدير فعلا أبي الحنون وأمي الغالية

إلى كل أفراد العائلة

كريمة

مقدمة

كانت الرواية في بدايتها الأولى محاكاة للواقع بكل تفاصيله ، ولكن بعد ذلك شهدت مجموعة من التطورات المتلاحقة ، ولم تعرف حالة من الثبات على مرّ تاريخها إذ اتخذ الروائيون من هذا الفن ساحة للتجريب ، وإظهار التنوع في الكتابة ، وبفضل ذلك أصبح لدينا روايات تتصف بالعديد من الخصائص الفنية والأسلوبية والجمالية ، وهذا ربما ما يدفعها إلى مضمار التقدم والازدهار .

ونحن في هذا البحث سنحاول الوقوف على عناصر الهوية، وتجلياتها في الرواية الجزائرية المعاصرة، وبالخصوص من خلال رواية الكاتب والأديب والباحث عز الدين جلاوجي"حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، وذلك لأنّ الهوية مسألة جوهرية، تكشف النقاب عن الذات وتبرزها للعيان لتصبح محدودة المعالم وواضحة الملامح قابلة للدراسة، إضافة إلى أنّ موضوع الهوية تجاذبت حوله الآراء كذلك وتضاربت في كثير من الأحيان وأخذ كل واحد يفسرها انطلاقا من رؤاه الفكرية ومشاربه الأدبية، بالرغم من أنها في النظرة الأولى تبدو بديهية وسطحية ولكن الغوص فيها يجعلنا نكتشف درر قيّمة لا تنساب مع البحر وإنّما تنبع منه كما ينبع النغم من شجن الناي والوتر.

ربما هذا ما ولّد فينا إعجابا وشغفا علميا، ودفعنا للخوض في غمار هذا البحث قصد التعرف على الهوية، وما تحمله من مفاهيم وتجليات فكانت الإشكالية التي انطلقنا منها هي:

كيف تتجلى عناصر الهوية في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي؟

وبما أنّ هذه السمة تحققت بشكل جلي في الرواية عنونّا بحثنا بـ "إشكالية الهوية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوجي بقصد البحث في تمظهرات الهوية "وتجلياتها في الرواية .

وبغية الإجابة عن هذه الإشكالية، قسمنا بحثنا هذا إلى فصليين ، الأول بعنوان : مفهوم الهوية وتمظهراتها ، ويحتوي على ثلاث مباحث هي :

1-مفهوم الهوية .

2-الهوية والآخر.

3-الهوية واللغة.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان : تجليات الهوية الجزائرية من خلال رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، وهو كذلك جاء في ثلاثة مباحث هي :

1-الهوية الوطنية .

2-الهوية الدينية .

3-الهوية الثقافية والاجتماعية.

كما اقتضت طبيعة البحث توظيف المنهج الوصفي التحليلي، الذي يساعد في تحليل النص السردي، وقد اعتمدنا أساسا على مرجعين مهمين هما: في "الهوية الوطنية" لصالح بلعيد وكتاب "الهويات القاتلة" لأمين معلوف، وذلك لاتصاليهما أكثر بالموضوع.

وكأي بحث علمي واجهتنا بعض الصعوبات منها قلة المراجع، واختلاف الآراء حول هذا الموضوع، حيث أربكنا هذا في الوصول إلى هدفنا، وكذا صعوبة جمع المعلومات، وانتقاء ما يرتبط بالبحث .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المحترمة "رشام فيروز" على مساعداتها لنا

وتوجيهنا.

الفصـــــل الأول

في مفهـــــوم الهويـــــة

1. مفهـــوم الهوية.
2. الهـــوية والآخر.
3. الهويـــــة واللغة

1- مفهوم الهوية:

لقد تعددت تعاريف الهوية واختلفت تبعا لعناصرها ، فهي من المسائل التي كثر الخوض فيها، إذ دخلت بقوة ساحت البحث الأدبي والجدل السياسي ، فنجد أنّ كل باحث يعرّفها اعتمادا على مشاربه الفلسفية ، ورآه الفكرية التي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنّسيج المكون لمعرفته ،سواء تعلق الأمر بالإرث البشري الاجتماعي أو الثقافي أو الديني.

1-1-الهوية لغة: مشتقة «من الضمير هو، أما مصطلح "الهو" فهو المركب من تكرار "هو" فقد تم وضعه كاسم معرّف بالألف واللام ،ومعناه الاتحاد بالذات ، ويشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره ، أو هو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري» [1].

والهوية كما يعرفها قاموس "المنجد" باللغة العربية معناها «حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية» [2] . أما الموسوعة الكونية فتنطلق «من الأصل اللاتيني للكلمة، لتنقذ فكرة التشابه أو التماثل التام بين الأشياء ، وتستشهد بقول للفيلسوف والرياضي الألماني"لايبنيتز" ، الذي ينفي أن يتشابه شيئان في العالم في كل خصائصهما ، ليخلص إلى نتيجة أننا لو قلنا بذالك لكانا شيئا واحدا» [3].

---

[1]. عباس الجراري ، مكونات الهوية الثقافة المغربية ، كتاب العلم السلسلة الجديدة، المغرب، (ط1)، 1988 ص22

[2]. لويس معلوف ،المنجد في اللغة والأدب والعلوم بيروت ، (ط8)،(د.ت) ص564.

[3]. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر (د.ط)، 2007 ص12-13.

وقد عرّفت الهوية في المعاجم العربية، بمعنى لا يختلف كثيرا عن هذا التعريف إذ نجد " جبور عبد النور" يعرّفها في معجمه الأدبي، بأنّها «الذاتية وهي أحد المبادئ الأساسية في الفكر يقول بأنّ الشّيء لا يمكن أن يكون الشّيء نفسه وشيئا أخر» [1] .

أما "الجرجاني«فيرى أنّ الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، وهي السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا يشترط شيء ولا بشرط لاشيء» [2].

إنّ هذه التعاريف تقف عند حدود التعريف اللغوي المبهم ، فهوية الشخص لا تكمن فقط في المعلومات الموجودة في بطاقة هويته والتي تلخص الجانب الشكلي فقط ، لأنه يحمل جانب آخر داخلي من مشاعر وأحاسيس ، كامنة في أعماقه لا تظهر للعيان ، وكذا تفاعلاته مع بيئته الطبيعية وعلاقاته المتشابكة مع محيطه البشري .

1-2-مفهوم الهوية اصطلاحا:

الهوية هي مجمل السّمات التي تميّز شيئا عن غيره، أو شخص عن غيره وهي تتغذى بالتاريخ وتتغير مع حركته، وتخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة لها والعناصر القابلة للتحوّل فمن العناصر الثابتة نجد الدين ، اللّغة أما المتغيرة نجد العادات القيم ... كما أنّ الهوية تعتبر كمرآة عاكسة لصورة شخص ، ولكن هذا الأخير لكي يعكس لابد أن يكون له وجود في مجتمع وأمّة ، لأنّ الانتماء يوجه الإحساس بالهوية المشتركة ويشكل وعي الفرد بانتمائه إلى جماعة ما لغة وتاريخا وقيما وسلوكا ، والحفاظ على الهوية والخصوصية الثقافية للمجتمع ، فالهوية في

[1]. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم الملايين، لبنان، (د،ط) ،(د،ت) ،ص286.

[2]. عبد القاهر الجرجاني ،التعريفات ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،(ط،1)، 2003 ص252.

معناها العام هي «الذاتية والخصوصية ،وهي جماع القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية من الضمير هو ، فيقال: من هو فلان؟ سؤال عن شخصه وفرادته ولغته وانتمائه وهي كما يعرّفها الباحثون مجموع الخصائص والمميّزات التي يتفرّد بها فرد أو شعب أو أمّة التي تتوارث عن ماضي ذي تاريخ وتراث» [1].

من خلال هذا التعريف نجد أنّ الهوية هي الذات والأصل والانتماء والمرجعية والماهية والانتساب ، وبعبارة أخرى هي جل الخصائص التي تبني وتصنع الأنا ، وتعطي له طابع متميّز ومستقل خاص، وهذه الفكرة جسدها عبد الرحمان محمد السيّد في سياق حديثه عن ماهية الهوية بقوله: «هي مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والاستقلالية، وأنّه ذو كيان متميّز عن الآخرين، والإحساس بالتكامل الداخلي والتماثل والاستمرارية عبر الزمن ، والتمسك بالمثاليات والقيم السائدة في ثقافته»[2] ولعل أبرز ما يميّز هذا التعريف هو ذلك الامتداد الزمني للكائن وأصوله وجذوره .

ويمكن أن نشير إلى مفهوم الهوية سوسيولوجيا «بأنّها مركب مبني ومعترف به اجتماعيا،وذلك من دلالات الذات المستمدة من عضوية الفرد في فئات معينة كالطبقة والعرق والديانة والأمة» [3] ، يتصرف المرء من خلالها انطلاقا من أو على ضوء مجموعة من القيم والمعايير والتصورات المسبقة.

---

[1]. صالح بلعيد، في الهوية الوطنيية ، دار الأمل، الجزائر، (د،ط) (د،ت) ص42.

[2]. عبد الرحمان محمد السيّد ، مقياس موضوعي لرتب الهوية الاديولوجية والاجتماعية ، دا قباء ،(د،ط) ،1998 ص400.

[3]. نهال مهيدات، الاخر في الرواية النسوية العربية في خطاب الجسد و المرأة والجسد والثقافة ، عالم الكتب،الحديث ، عمان، (ط،1)، 2008 ، ص11.

وهذا يعني أنّ الهوية تظهر في تصرفات الإنسان وأعماله المختلفة قبل أن تكون عبارة عن أفكار أو مدلولات ذهنية .

واستنادا للتعريفات السابقة لاسيما إذا أخذنا من معاني الهوية ما تعلق بشخص الإنسان نخلص إلى القول: إنّها تلك المعلومات المسجلة في بطاقة التعريف، أو بطاقة الهوية التي تشمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانه والنسب العائلي، وعنوان الإقامة بالإضافة إلى العلامات الجسمية المميزة ، كالطول ولون الشعر ولون العينين وقد يضاف إلى هذا كله ديانة الشخص ولون بشرته كما هو في بعض البلدان .

ولعل أقدم من أضاف إلى معاني الهوية البعد النفسي لدى الانسان في العصر الحديث الفيلسوف الانجليزي "جون لوك " في معرض نقده الكوجيتو الديكارتي حيث قال «إنّ ا"لذات " أو "هو" هو ذالك "الشيء " المفكر، الواعي (كائنا ما كانت الصورة التي يتجلى فيها : روحية أو مادية بسيطة أو مركبة لا يهم) الحسّاس نحو المُتع والألم أو الواعي بها، الخليق بالسعادة أو الشقاء الذي يكُون اهتمامه فيه، والحال هذه منصّبا على ذاته.. وهو مايجعل من الوعي ذلك "الشيء الواعي"يلتقي مع ذاته، وليس مع غير ذاته، ليشكل شخصا واحدا ، وذاتا واحدة . وعلى هذا النحو تُسند كل أفعال ذلك الشيء لذاته وتصير ملكه، باعتبارها أفعاله ، بالقدر الذي يمتد ذلك الوعي ،لا أبعد منه»[1].

وهكذا مع الوقت يتسع مفهوم هوية الإنسان ويتعقد ويتشعب، ويسمى بمسميات أخرى لها نفس المعنى أو تقترب منه اقترابا شديدا، مثل الشخصية والكينونة والذات، ليكوّن مجالا واسعا

[1]. أحمد منور، الأدب الجزائري بالسان الفرنسي ، ص15.

وحقلا خصبا للدراسات النفسية والاجتماعية والأنتروبولوجية والوراثية وغيرها من مجالات البحث العلمي .

2-الهوية والآخر:

إنّ الخوض في مسألة الأنا والآخر ، يقودنا إلى البحث عن قطبين مختلفين كل منهما له خاصية تميزه عن الآخر، أو بصفة أخرى الحديث عن الهُوية التي تميز الذات والغيرية التي تعاكس الذات ، «فالهوية لا معنى لها إلاّ بتجاورها مع الغيرية ، أو ما تشكل هذه الغيرية من تضاد للذاتية أو الهوية ، فإذا كانت الهوية هي صورة أو مفهوم الشخص أو الجماعة لذاته أو ذاتها ، فإن الغيرية هي صورة أو مفهوم الشخص أو الجماعة للأشخاص الآخرين أو الجماعات الأخرى» [1].

يقودنا هذا الحديث إلى محاولة الولوج لأعماق الذات لمعرفة تصوراتها عن الآخر ، وبأي منطق تحكم عليه ، هل تستند إلى معايير موضوعية أم تخضع لرغبات وهواجس الذات وأحكامها الذاتية ،وهذا ما تناوله عبد الله إبراهيم بالنقاش بقوله «بأنّ تمثيل الذات والآخر استنادا إلى آلية مزدوجة الفاعلية أخذت شكلين : ففيما يخص الذات أنتج التمثيل ذات نقية وحيوية ومتعالية،متضمنة الصواب المطلق والقيم الرفيعة وللحق الدائم فضح مجموعة من المعاني الأخلاقية المنتقاة على كل الأفعال الخاصة بها ، وفيما يخص الآخر أنتج التمثيل الآخر يشوبه التوتر والالتباس والانفعال أحيانا ، والخمول والكسل أحيانا أخرى، وذهب فيما يخص الأقوام في المناطق النائية إلى ما هو أكثر من ذلك، حينما وصفهم بالضلال والحيوانية والتوحش والبوهيمية»[2] .

وهذا الوصف يتحقق بشكل كبير، إذا انطلقنا من تصوراتنا وعقائدنا اتجاه كل ما هو خارج عنآ، والشعور نحوه بالعدوانية «إذ أنه من المعلوم أنّ صور الآخرين تتشكل من تداخل المعلومات

[1]. نهال مهيدات ، الآخر في الرواية النسوية العربية في خطاب المرأة الجسد والثقافة ، ص12.

[2]. عبد الله ابراهيم ، المركزية الاسلامية ،صورة الآخر في المخيال الاسلامي من خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي دار البيضاء ، المغرب ، (ط،1)، 2001 ، ص06.

الحقيقية بالمزيفة ، ومن المشاهدات المباشرة المفسرة على وفق سُلم معين من القيم ، ومن الأخبار التي هتكتها الخرافات والأساطير واقتحمت صلبها وأخيرا عن الرغبة الثابتة في الذات لانتاج صور نمطية منقوصة للآخر، وفي حقبة يعتبر الموجه العقائدي فيها محّفزا لتشويه الآخر الذي يئن تحت طائلة الظلال ، فليس من المنتظر البحث عن النقاء في الصورة،فلطالما أنتجت ومازالت الأعراف صور استقلالية لنفسها وتخفيضيه لغيرها ، وفي الحالتين تقوم تلك الصور على التنضيد مرويات لا يرتكز الاهتمام فيها على الدقة والتقدير المطلوبين إنّما على اشباع الرغبات الثقافية فمعنى المخيال المجموعات الثقافية- البشرية المعتصمة بذاتها ترسم صورة مرْضية عن ذاتها ومرضية عن غيرها»[1].

ولكن أحيانا تكتشف الذات نفسها من صورتها لدى الآخر، مهما تعددت صوره سواء كان صديقا أو عدوا شريكا أو غازيا أو مسالما، لكن علينا قبل كل شيء أن نتخلص من تلك النظرة التشاؤمية، وأن ننطلق من أُطر موضوعية في حكمنا على الآخر، فهو ليس بالضرورة انسان منحط، بل أحيانا يكون ذا قيم أخلاقية نبيلة يدعو إلى الحق، وينصر القضايا العادلة في العالم ولعل خير نموذج على ذلك نجده صورة أصدقاء الجزائر ومساندتها في حق شعوبها في تقرير مصيرها، والدفاع عن شرفها ووطنها، ومن هؤلاء نجد جون بول سارتر، فرانسيس جونسون، فرانس فانون .

فمثلا سارتر وقف إلى جانب الشعب الجزائري بصدق وإخلاص حتى تحقيق استقلاليته وحريته إذ صرّح مرات عديدة بأنّ هدفه يتمثل في تحقيق فكرة الحرية حيث قال: «أنا من النخبة المثقفة ولست من رجال السياسة ، لكن كمواطن في استطاعتي أن أشارك مع جماعة الضغط وهذا يبين

[1]. عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية صورة الآخر في المخيال الاسلامي خلال القرون الوسطى ، ص68.

لماذا كنت صادقا ومخلصا مع الجزائريين ، وهذا هو في رأي عمل المواطن، وبما أنّ مهارتي وبراعتي تكمن في ثقافتي أستطيع كمواطن أن أخدم أو أشارك بالكتابة»[1] .

وهنا نرى أنّ سارتر رغم أنّه ينتمي إلى البلد المعادي للجزائر، غير أنّه كان دائما يقرّ بالحقائق لأنّ التاريخ لا يرحم وسيذكر دائما ويسجل للأدباء أرائهم ومواقفهم وفي هذا الصدد قال سارتر «أن الحقيقة تبقى دائما للبحث لأنها ليست لها نهاية ... والحقيقة الكلية يمكن التوصل إليها بالرغم من أنّه لا يوجد أي إنسان بإمكانه الوصول إليها اليوم»[2].

أما الكاتب "فرانسيس" في كتابه "الجزائر خارجة عن القانون"، والذي انتقد فيه بشدة سياسة الاستعمار الفرنسي، ودافع فيه عن حقوق وحرية الشعب الجزائري ، علما أنّه أوّل كتاب يتطرق إلى الثورة الجزائرية وأبعادها السياسية، إذ حاول أن يبين فيه مبادئ ثورة نوفمبر المجيدة على الرغم من الانتقادات التي وُجهت إليه فيم بعد، وقد أسّس جبهة كاملة تدافع وتساند حرية الشّعب الجزائري،على عكس ابن البلد "ألبير كامو" الّذي وُلد في الجزائر والّذي كان له موقف مخزي اتجاه القضية الجزائرية، رغم ما كان يدّعيه من مثالية وأخلاق رفيعة، لكن انتفاضة الشعب الجزائري فضحته كما فضحت أدباء آخرين [3].

---

[1]. عبد المجيد عمراني ، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962 ، دار الشهاب ، باتنة ، (د،ط) ، (د،ت)، ص40.

[2]. المرجع نفسه ص40.

[3].ينظر المرجع نفسه ص41-42.

وليس هذا فحسب بل إنّه لم يقف موقفا محايد بل راح ينتقد عمليات جبهة التحرير الوطني وكان من أكبر المساندين لفكرة "الجزائر فرنسية"حتى ولو على حساب المئات من الضحايا والأبرياء من الجزائريين العزل.

ومن كلّ ما سبق نستنتج أنّ الحكم على الغير يجب أن يكون من أفعاله، وليس من تصوُّراتنا التي قد تكون خاطئة في أغلب الأحيان، لأنّها غير خاضعة لأُسس منهجية وعلمية، بل على اعتقادات مغروسة في الانسان اتجاه كل من يخالفه في اللغة والدّين والوطن .

3-الهوية واللّغة:

ندرك جميعا أنّ اللّغة عنوان هويتنا ورمزها الأعظم ، كما تكون يكون وضع أصحابها ، وهي ظاهرة إنسانية عامة لا يمكن الاستغناء عنها ، «فطرية عند الإنسان وتميزه عن كائنات أخرى تشبه الإنسان من جوانب شتى، وتميزه –أيضا-عن كائنات تعيش مع الإنسان، وليس لديها فطرة اكتساب اللّغة، أما دور الجماعة فيكون في تخصيص النظام اللّغوي المكتسب، فيكتسب هذا الفرد العربية لأنّه عاش في إطار الجماعة اللغوية العربية ، يكتسب ذلك الفرد اللّغة الألمانية لأنّه نشأ في إطار جماعتها اللّغوية ، ولكن كلا الفردين وُلد ومعه فطرة اكتساب اللّغة» [1].

ومن ثمة نقول أنّ الهوية تنبع من روح الوسط الذّي يحيط بالكائن ، إذ تولد وتنمو تدريجيا إلى أن تصبح روحا تنبض بالحياة تحيا الجماعة بها.

وتعدّ اللّغة من أهم معالم الخصوصية الثقافية فهي وسيط التواصل والاتصال في الوسائط الثقافية والمجالات العلمية كافة، ويعني ذلك فيما يعني استحالة إرجاع اللّغة إلى أصول جذرية لأنها في حالة تولّد ومحو، وفي تولّدها تدمج مستخدميها في عالم يتجاوز النطاق المحلي، كما تتفاعل اللّغة في المجالات الثقافية والمخترعات العلمية ، فتتغير اللّغة المتداولة عبر العصور، ولو أننا قاربنا اللغة بوصفها خطاب، فلن تتمثل لنا كمجرد مفردات معجمية أو نسق مغلق ، بل وسيط تتلقى معانيه قراءة عبر علامات عدة، قد تكون مرئية أو مكتوبة يتم انتاج معانيها عبر تداولها بين الأفراد ، إذ أنّ «الإشكالية اللّغوية في الوطن العربي نابعة من ظاهرة التواصلات اليومية التي

[1]. محمود فهمي حجازي ، البحث اللّغوي ، دار غريب ، القاهرة ، (د،ط) ، (د،ت) ، ص43.

صار من المستحيل السيطرة عليها ،على الرغم مما جدّ في عالم الحقول الالكترونية التي بإمكانها أن تقدم عونا كبيرا لهذه المراقبة في ضرف دقائق معدودة»[1] .

وعليه فإنّ اللّغة تستند إلى أنساق معرفية تربط لغات العالم ، إذ أمدّت العلوم الرقمية بالمنهجية التي وُضع على أساسها لغة الحاسوب والعالم ، ومن ثمة علينا بالتنبيه إلى تحولات الهوية في عالم المعرفة ، واللّغة أداة من أدوات الرمز ، تقيم مستوى جديد من التواصل بين الإنسان والآلة.

3-1-الهوية اللّغوية الجزائرية:

إن الحديث عن الهوية اللّغوية في الجزائر يقودنا إلى المنبت الأصلي لهذا اللّسان ، فهو بربري أمازيغي عرّبه الاسلام ، وأصبحت اللّغة الرسمية في البلاد هي اللّغة العربية التي تنقسم إلى قسمين حسب "بريني" وهي العربية الفصحى والعربية الدرجة ، وذلك بقوله «أولى هذه التسميات كما نعرف تنطبق على اللغة المستعملة في الكتب أيا كانت البلدان التي تصدر فيها ، فهذه اللّغة واحدة، وليس لها من تنوعات إلاّ تلك التي تفرزها عبقرية ومهارة الكتّاب ، أمّا الثانية: تطلق بوجه عام على مختلف لهجات اللّغة العربية المنطوقة التي أحدثنا في صلبها العلاقات الاجتماعية والسياسية، أو التجارية تعبيرات متنوعة جدا»[2].

بعد مجيء الإستدمار الفرنسي إلى الجزائر بداية من 1830، عرف أنّ الطريق الأسرع لاحتواء هذا الشعب وإخضاعه ، إنما يتم عبر طمس كل المقومات الثقافية والحضارية للجزائر والمتمثلة في اللّغة والدّين ، وهذا عبر حقائق أقر بها وزير الشؤون الدينية والأوقاف السيد بوعبد الله

---

[1]. عبد الجليل مرتاض ،في رحاب اللّغة العربية ، دوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (ط،2) ، 2007 ، ص46.

[2]. محمد يحياتي ، دراسات حول اللّغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ،منشورات المجلس الأعلى للّغة العربية ، الجزائر ،(د،ط) ، 2005 ، ص27.

غلام الله بقوله «الاستعمار الفرنسي للجزائر لم يستهدف الأرض وحدها بما ففي باطنها من ثروات وبما فوقها من عمران ، أو لبعدها الاستراتيجي ، بل كان يستهدف احتواء الأمّة الجزائرية ثقافيا وحضاريا ، كما أنّ الاستعمار ذا نزعة صليبية حاقدة أراد أن يجعل من الجزائر قطعة تابعة لبلاد الغرب فرنسية اللّغة مسيحية العقيدة»[1].

ومن هذا نقول أنّ اللّغة ليست وسيلة اتصال وتفاعل فقط ، بل هي كذلك أداة عمل ومرجعية وعقيدة وثقافة وحضارة ، ولكن السؤال المطروح كيف يتمكن الفرد من تثبيت هويته داخل اللّغة إذا كان بالفعل في اللّغة علامة اعتراف اجتماعي بين أفراد الجماعة الواحدة؟ فكأنه هناك نوع من الخضوع والانصياع لأمر الجماعة ، مقابل الحصول على اعتراف بالهوية ، التي لا تختزل فقط في المعلومات الموجودة في بطاقة التعريف الوطنية من اسم ولقب وطول ووزن ، وإنّما تتعدى ذلك إلى مكنونات داخلية كامنة في جدران الفؤاد، بالإضافة إلى العلاقات والتفاعلات مع المحيط البشري , فطمس لغتك وعقيدتك هو طمس لهويتك التي تعبر وتثبت وجودك كما أنّ «الهوية هي ما يجعلك غير متماثل مع أي شخص آخر»[2].

إنّ الدراسة الجادة «للّغة العربية فوق أرض تستعمل فيها مشافهة، منذ قرون عديدة –وهذه الدّراسة قد أقدم عليها عدد كبير من الأوربيين-بإمكانها أن تمنح بلادنا امتيازات جمّة بجعل العلاقات مع الأهالي تتعاظم، كما يمكنها أن تجعلنا على معرفة وتقدير ذهنية الشعوب التي لسنا مطالبين بتسييرها فحسب، بل كذلك على تلقينها شيئا فشيئا أفكار حضارتنا الواسعة بشكل أفضل إنّنا بعقدنا علاقات أكثر حميمية معها ، سيكون في مقدورنا الوقوف على حاجاتها ورغباتها وأمالها

---

[1]. أبو عبد الله غلام الله، أعمال الملتقى الأول والثاني دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، منشورات وزارة المجاهدين , الجزائر ، (د،ط) 2007 ، ص28.

[2]. أمين معلوف ، الهويات القاتلة ، و ورد ، سوريا ، (ط،1) ،1999 ، ص14.

وتمكينها من الاستفادة من تقدّمنا ، وتعويدها على النظر إلينا لا بوصفنا فاتحين ، بل كحُماة لمصالحها وناس جاءوا لتمدين أراضيها» [1] فالهوية تجعل الشخص يتمز عن سواه ويشعر بوحدته الذاتية.

[1]. محمد يحياتي، دراسات حول اللّغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ، ص32.

الفصل الثاني

تجليات الهوية الجزائرية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدّين جلاوجي

1- الهوية الوطنية

2- الهوية الدينية

3- الهوية الثقافية والاجتماعية

عند قراءتنا رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلا وجي[1] نجد أنّ هذا الأخير قد برع في عكس ورسم الهوية الجزائرية، فقد وظفها أحسن توظيف، ونلمح ذلك بوضوح في ثنايا هذا العمل الروائي الّذي امتزج بالسرد والشعر اللذان اجتمعا ليدعم الواحد منهما الآخر، فهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عبقرية هذا الكاتب الفذ وقدرته على الإبداع، فاستحضر الهوية وأوردها في نصه، ومن ذلك نجد :

1-الهوية الوطنية :

كثيرا ما ربط مفهوم الوطنية بمفهوم القومية التي تقوم على أساسان اثنان هما :اللّغة العربية والدّين الاسلامي ، في المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا «ففكرة الوطنية المحلية ترتدي إذن ثوب القومية بعنصريها انتسابا إلى أمّة عربية لم يصر لها شأن إلاّ بالإسلام الذي انطلق ليمد خيوطه خارج الجزيرة العربية بلغة القرآن والعربية، فيغدو الإسلام في الخطاب القومي في الفكر الجزائري لب الانتماء» [2].

وبالتالي فالوطني الحقيقي هو الذي يحمل في داخله روح إسلامية، فهو خادم لهذه الأمّة يحمل همومها ، ويسعى دائما لإيجاد الحلول المخَّلصة لها إذ أنّ «في الجزائر العروبة والإسلام متكاملان متناغمان عموما ، وهنا مقياس الوطنية التامة في تاريخنا الحديث ، فالوطني هو القومي (عربي)، والعربي حتى في الفكر الشعبي هو الإسلامي ، وهذا هو ذلك بالضرورة ، فحين نرى

---

[1]. عز الدين جلاوجي كاتب وباحث ، من مواليد 1962، أستاذ للّغة العربية وآدابها من أهم أعماله الروائية سرادق الحلم والفجيعة، الفراشات والغيلان، رأس المحنة: 1+1=0، العشق المقدس، الرماد الذي غسل الماء.

[2]. عمر بن قينة ، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية ، إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، (د،ط) ، 1999، ص77.

مفكرا أو سياسيا هنا ينطق باعتزاز وفي شموخ أنّه وطني، فهو يعلن وجدانيا أنهّ مرتبط بهم قومي عام في فضاء حضاري عبر المساحة الجغرافية العربية ، تاريخا ولغة وعقيدة بدءا وختاما»[1].

وليس هذا فحسب بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك عندما ينفي على كل إنسان هويته الوطنية ، إن لم تكن ذات بعد عربي إسلامي فيقول «ألا وطنية من دون عمق عربي فإنّه أيضا لا قيمة لعروبة من دون إسلام، هو ثلاثي مقدّس ، فثلاثية (الفضاء القومي) في الجزائر إذن: الأرض وطنا، والعربية لغة، والإسلام دينا ، فتبقى العقيدة الإسلامية هنا جوهر الانتماء الحضاري فهي التي جعلت الأمّة هوية واضحة المعالم»[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الهوية الوطنية لها صفة خاصة لصيقة بها، ألا وهي صفة المواطنة التي يتمتع بها كل إنسان، والتي تتميز بالتواصل والتفاعل ، كما أنها تحقق الهوية والانتماء ، فقد جاءت «المواطنة على وزن مفاعلة ، أي المشاركة من الجانبين كالمشاركة والمساهمة ، وتعتبر علاقة تبادلية بين فرد وفرد، وبين جماعة وجماعة ، وعلاقتهم جميعا بالوطن حتى يمتزجا في لحمة واحدة ، ومن هنا فالمعنى المنوب للمواطنة السكينة والطمأنينة ، وتحمل التنافس في كل شيء لمصلحة الوطن ، وجوهرها السعي لتأسيس أصول التعايش مع الآخر لتحقيق وطني واحد يحوي الجميع» [3].

كما أنّه من علامات الهوية الوطنية الخصائص المتعلقة بالإنسان والتي يقدّمها للآخرين معرفا بها هويته ووطنيته كالجنسية مثلا ومكان الميلاد وغيرها من الخصائص.

---

1. عمر بن قينة ، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، ص77

2. المرجع نفسه، ص87.

3. صالح بلعيد ، النخبة والمشاريع الوطنية ، مخبر الممارسات اللّغوية ، الجائر ، (د،ط) ، 2013 ، ص11.

1-1- مواطن الهوية الوطنية في الرواية :

الهوية الوطنية مرتبطة بالدرجة الأولى بالظروف السياسية ، فهي مزيج من المقومات والمكونات ذات العلاقة والترابط الجدلي فيما بينها، بحيث لا يمكن عزل أي مكون عن الآخر ، فمن خلالها ينتظم العمل السياسي والاجتماعي، إذ بتتبع التاريخ الوطني الجزائري عبر مراحله الزمنية نعرف أنّه عرف احتلالا عنيفا واستيطانيا في مختلف المجالات، سعت فرنسا من خلاله إلى وضع أسس لضرب الهوية الوطنية في العمق وشل جميع مقوماتها الحضارية، هذا الوضع قابله الجزائريون منذ البداية بالرفض المطلق ، وكان نتيجة لذلك أن ظهرت مقاومات شعبية في مختلف المناطق من التراب الوطني ، وهذه الأحداث والمقاومات تحدث عنها عز الدين جلاوجي ، نذكر منها حرب قسنطينة التي حاول الفرنسيون دخولها بقوة «ما كادت تحل سنة 1837 حتى غزت جيوش فرنسا مدينة قسنطينة ، بعد أن أسقطت بجاية وعنابة ، وحين ضاقت الأرض بالباي أحمد أسرع باستدعاء مساعديه وعلى رأسهم الحسين المكحالجي ، جلسو جميعا قبالته ، أما هو فلم يستطع أن يجلس ، كان يدور في قلق ظاهر ..سأل موجها حديثه للجميع لكن نظراته كانت مصوبة للحسين :

-بم تشيرون؟

تطلعوا جميعا إلى الحسين المكحالجي ، ليس لهم أن يقرروا دونه ، قال الحسين بثبات :

-لاشيء غير الحرب أعلن الجهاد في سبيل الله» [1].

[1]. عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، الروائع ، الجائر ، (ط،1) ، 2011 ص53.

نلاحظ أن المؤلف لم يقدم الأحداث بمعزل عن الحيز الزماني والمكاني التي وقعت فيه الأحداث، ولا بمعزل عن الوسط الاجتماعي التي يتجسد من خلال الشخصيات التي تصنع الحدث، وتتأثر به بشكل من الأشكال، وقد أكد هذا في موقف آخر «قبل شروق الشمس من سنة 1837 داهم جراد النصارى المنطقة بأعداد لا حصر لها من الجنود، وفزع الأطفال والنساء والعجزة وصاح الحسين المكحالجي أن استعدوا للموت دفاعا عن الشرف العظيم»[1]

ولقد كانت فرنسا تسعى إلى الاستيلاء على كل المناطق الجزائرية و«لتحقيق غرض التوسع، واستجابة لرغبة "كلوزيل" ،وتصميمه على احتلال قسنطينة بالخصوص ، تضاعفت القوات العسكرية الفرنسية ثلاث مرات عما كانت عليه عند نزولها على شاطئ سيدي فرج ، وظّل عددها يتضخم مع الوقت باستمرار، وخصوصا بعد الفشل الذريع الذي مُني به الجينرال كلوزيل في الناحية الغربية في حربه مع الأمير عبد القادر، وفي الناحية الشرقية مع أحمد باي على السواء» [2].

فكل المقاومات تقريبا التي كان يقوم بها الجزائريون ، لم تنجح في التصدي للفكر الفرنسي الذي حاول بشتى الطرق تشويه كل المقومات بادعاءاته بأنّها حركات معزولة من متمردين ، وما دعم موقف فرنسا في ادعاءاتها أنّها حركات معزولة لم تكن بطريقة منظمة ، وليس فيها تنسيق مع مختلف المقاومات الوطنية ، كما أنّ الاستعمار أنكر هوية الشعب الجزائري ، وجعل من ضمن مبررات غزوه للبلد أنّ الجزائريين لا يشكلون أمّة واحدة ولا شعب متجانس، فهم في نظره عبارة عن أعراق مختلفة وقبائل متفرقة ومتناحرة .

[1]. حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص54.

[2].أحمد منور، الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي نشأته تطوره ،وقضاياه ، ص31.

ولعل ما زاد من اضمحلال المقاومات هو ظهور الوعي السياسي المتمثل في حركة النخبة أمثال: مصالي الحاج ، فرحات عباس ، والأمير خالد ، وكذا مختلف الجمعيات والنوادي والمنظمات ، وذلك باقتناع مفاده أنّ من لا يملك فكرا لا يمكن أن يطالب بحقوقه ، ولا أن يفجر الثورة وأنّ من امتلك هذه القوة لا يمكن أن يستعبد ، وقد أورد الروائي ذلك في عمله بقوله «الحركة في العاصمة ثلاثة اتجاهات ، جماعة من رجال الاصلاح ينشطون في المساجد والأندية خاصة نادي الترقي ، ومن أشهر رجالهم عالم كبير هو العقبي ، الجميع يشهد له بالاستقامة والإخلاص ويكتظ المسجد بالناس إذا كان هو خطيب وإماما ، وعادة ما يحضر أيضا علماء آخرون كالشيخ ابن باديس والإبراهيمي» [1].

كما ورد في موضع آخر من الرواية «التقيت مرارا بالشيخين ابن باديس والإبراهيمي حلمهما تعليم الناس لغتهم ودينهم» [2].ومن هنا نجد أنّ تعليم الدين واللغة للناس مكون أساسي من مكونات الهوية الوطنية ، إذ كان رجال العلم يعملون على إرسائهم وتجسيدهم في الأوساط الاجتماعية لنشر الوعي وإيجاد وحدة متماسكة ومنسجمة «الحركة الإصلاحية التي تمثلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أبرز المقاومات ،التي حملت مشعل التغيير والثورة في القرن العشرين، لقد وضعت الجمعية نصب عينيها الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري هدفا تسعى إلى تحقيقه لتحصين الأجيال وإعدادها للمستقبل من أجل تحرير الجزائريين من ربق العبودية والاستغلال» [3].

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص349

2. المرجع نفسه ص349.

3. عبد القادر خليفي ، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د،ط) ، 2010 ،ص91.

ومع بداية الحرب العالمية الأولى، أخذت فرنسا في سياسة تجنيد الجزائريين للدفاع عن شرفها المنتهك من قبل الألمان وكان لها ذلك ، هذه السياسة قَويت أكثر مع ظهور الحرب العالمية الثانية حيث عملت فرنسا على تدعيم جنودها بجنود الجزائر لإنقاذها من مستنقع الحرب وضربات هتلر التي لا ترحم ، وهذا ما حدث لعم خليفة في الرواية والتي حاولت فرنسا تجنيده إجباريا وقد ورد ذلك في قول الروائي «كما كان الجبل مكمنا لأخيه الأقل منه سنا حين لجأ إليه أياما وفرنسا تحاول أن تجنّده إجباريا في حربها الأولى ضد الألمان» [1] فهذا التجنيد الإجباري زاد من معانات الشعب،وجعل معيشتهم «أصعب بكثير مما كانت عليه وحرمتهم من القوة العضلية لشبابهم الذين جُندوا قسرا في صفوف الجيش الفرنسي »[2].

ولكي تحقق فرنسا أهدافها وتظم إليها أكبر عدد من الرجال عمدت في ذلك إلى سلسلة من الوعود الزائفة ، التي خدعت بها الجزائريون بكل حقد وحقارة ، على شعب معروف ببراءته وتصديقه لمثل هذه الأكاذيب التي عرفت فرنسا كيف تقنع بها النخبة، وبالتالي اقتناع الشعب بإطلاقها مشاريع مثل مشروع فيوليت «ففيوليت هو أحد الغيورين على فرنسا لقد صرخ في قومه الفرنسيين: إنّ استمرار ظلم الفرنسيين في الجزائر سيقضي على مستقبل الإمبراطورية الفرنسية في إفريقيا» [3]، وجاء في موضع آخر «هو يقدم إصلاحات للبقاء في أرضنا ، ومن ذلك إلغاء المحاكم الخاصة بالجزائريين وتأمين نفس حقوق وواجبات الفرنسيين لبعض الجزائريين» [4].

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص75.
2. أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه ، ص272.
3. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص378.
4. المرجع نفسه، ص378.

قامت المنظمات والأحزاب الجزائرية بنشاطات، كرد فعل على مشروع فيوليت من خلال تحركات سياسية نشيطة كتقديم محاضرات وإنشاء نوادي وجمعيات لشحذ الهمم إلى الجهاد وتوعية الشعوب ، وهنا نجد فرض للهوية الجزائرية الرافضة للآخر المحتل وأنساقه الفكرية الداعية إلى سلب مقوماته وهويته ، فالجزائريين بالرغم من أنّهم كانوا تحت وطأة المحتل الأجنبي إلاّ أنّهم كانوا يعملون على التمسك بمبادئهم ورفض الذوبان في كيان المستعمر، والتحول إلى مجرد ظل له ، وقد ورد ذلك في الرواية «حين وصلوا إلى المحطة كان الناس قد تكاثروا أمامه ، وكان بعض الشبان يوزعون منشورات معادية لفرنسا ولليهود ، وتفرق بعضهم هنا وهناك يخطب في الناس ، وكان مسعود بولقباقب قرب بيته المجاور لبيت خليفة يستند إلى الجدار ، يملئ صندوقه الخشبي بمئات المناشير ، ليرفعوا صوته دون توقف ، داعيا الناس إليها» [1]

وجاء في مقطع آخر «الحمد لله لقد أُعلن أمس الخامس من شهر ماي بنادي الترقي بالعاصمة على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وقد أسندت الرئاسة لعبد الحميد ابن باديس وأُختير الإبراهيمي نائبا لها» [2] وهذا أكده "عبد الحميد زوزو" في قوله «لا نعلم في وطن الجزائر جمعية أقدم خطة وأوضح غاية وأصرح لهجة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» [3] فعدم وفاء فرنسا بالتزاماتها اتجاه الجزائر «لم يرضي هذا الإجراء الأحزاب السياسية الجزائرية وقابلته بالرفض والاستنكار ، ومن هذا الرفض نشأت حركة سياسية جديدة» [4] ، وأنشأ نوادي مثل نادي الشباب الذي كان يهدف إلى التنبيه للمأساة التي يعيشها الوطن وبعيد الثقة في نفوس الشعب

---

1. عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص358.
2. المرجع نفسه، ص358.
3. عبد الحميد زوزو ، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا ، دار هومة، الجزائر ،(د،ط)،2012،ص216-217.
4. أحمد منور الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه ، ص264.

«وانتشى يوسف الروج أكثر وهو يشرف مع رفاقه على فتح ناد صغير بجوار الكنيسة البروتستانتية ، أطلقوا عليه نادي الشباب الذي صار كخلية نحل حافلا بالحركة تعقد فيه الاجتماعات وتشتد النقاشات ،وتلقى فيه المحاضرات بمناسبة وبغير مناسبة ، قال له السي الهادي وهو يجلس على جدار الحديقة القريبة متأملا كثرة الحركة في النادي:

-إنّنا نقترب من تحقيق الهدف» [1].

كما كان من جهة أخرى فرحات عباس يلقي محاضراته على الشعب ليقرّب إليهم الصورة التي آلت إليها الجزائر ويدعوهم إلى المطالبة بالحقوق المسلوبة والعزة المنهوبة «تحدث عن الوضع المأساوي الذي وصله الشعب الجزائري وعن جشع المعمرين الذين التهموا كل شيء مذكرا بمحاولات الجزائريين السابقة في التخلص من الاستعمار دون جدوى، مبرزا الثمن الباهظ الذي قدموه , وحاول في الأخير رسم الطريق الصحيح»[2].

كما عُقدت مؤتمرات لمناقشة أهم المشاريع الفرنسية «لم تعد السلطة الاستعمارية تحسن إلا سياسة العصا الغليظة ، لتركيع الشعب الجزائري ، في الوقت ذاته كان النواب والنخبة يسعون بكل ماأوتوا من قوة لا نجاح المؤتمر الإسلامي ، الذي سيعقد بالجزائر العاصمة متخذا مشروع فيوليت وموريس قاعدة له ، وقد حشدت له الجماهير والطاقات وبشر به في كل وسائل الإعلام »[3].

لكن فرنسا كالعادة لا يمكن لها أن تسكت وتغض النظر على هذه الأعمال التوعوية ، لأنّها تعلم جيدا خطورتها على المدى البعيد لأنّ النضال السياسي إذا نجح سوف يقوى ، ويتحول إلى

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص409.
2. المرجع نفسه، ص410-411.
3. المرجع نفسه، ص337.

نضال مسلح لذلك عمدت إلى تخويف الجزائريين ببعض الإجراءات ، كسجن بعض المناضلين وقد تعرض الجزائريين على يد الاستعمار لأكبر محاولة تدمير لهويتهم الوطنية في تاريخهم الطويل «فهناك تاريخ مشترك يجمع كل الجزائريين ، تكوّن عبر العصور المختلفة وتقاطع في كثير من الأحيان من فتراته، مع تاريخ جيرانهم وإخوانهم في بلاد المغرب والمشرق واختلف عنه في بعضها وانطوى على صفحات كثيرة مشرقة ، كما ضم صفحات أخرى مؤلمة ودامية ، وتميز عموما بتعلق الجزائريين الشديد بالحرية ، وبرفضهم للهيمنة الأجنبية وبكفاحهم الطويل ضد كل الغزاة والمحتلين الذين نزلوا بأرضهم »[1] ، وقد ذكر الروائي سياسة فرنسا للقضاء على الجزائريين ورفضها لكل محاولة تستهدفها «لقد اعتقلوا مصالي الحاج بتهمة تحريض العسكريين الجزائريين في الجيش الفرنسي على العصيان »[2] ، فأخذت فرنسا تغلق كل الأبواب في وجه الجزائريين ، والحرص على بقائهم في جهلهم « لقد جنّ جنونها فهرعت تغلق مئات المساجد والمدارس والصحف ، إنها تنسف كلّ ما بني »[3] .

كلّ هذه الأعمال الشنيعة لم تثبط حركة المناضلين، بل زادت من عزيمتهم «لقد ألقى ابن باديس خطبة نارية في نادي الترقي منددا بجريمة غلق المساجد والمدارس ، وتحرك النواب فرفضوا جريمة الغلق، وتوجه وفد منهم إلى باريس لمقابلة شوطان وزير الداخلية »[4].

بعد الحرب العالمية الثانية خرج الجزائريون للاحتفال بنصرهم واستقلالهم عن فرنسا، التي وعدتهم بتقديم الاستقلال لهم إذا انتصرت على الألمان ، لكن فوجئ الجزائريين بردت فعل

---

1. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه، ص24.
2. عز الدين جلاوجي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص418.
3. المرجع نفسه، ص412.
4. المرجع نفسه، ص413.

الفرنسيون التي كانت وعودهم زائفة وإنّ كلّ ما قدّموه كان مجرد أكاذيب ، فانطلقت مظاهرات عارمة يتقدمها الشباب والأطفال والنساء ، ومختلف الفئات العمرية مطالبين بحقهم في الحياة ، لكن هؤلاء الشرفاء لم يعرفوا ما يدبّر لهم من طرف الاستعمار الّذي لا يحترم نفسه لأنّ وعوده زائفة وسياسته مبنية على الغدر والحقد لكل ما هو عربي مسلم، وخصوصا جزائري الّذي لطالما كان شوكة في عنقه تنغص عليه هناءه وانتصاراته، وراح ضحية هذه المظاهرات خمسة وأربعون ألف شهيد ، وهذا ما عجل لانطلاق الثورة «أيها الإخوة المسلمون إنّ حياة بلادكم في خطر إنّ الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي ، فاللّغة العربية مضطهدة منذ الاحتلال والإسلام أصبح محل سخرية ، وإن كرامتنا لا يضمن لها الاحترام إلاّ في إطار كيان جزائري وحكومة جزائرية »[1] .

إنّ الروائي لم يكن غرضه تقديم درس تاريخي للقارئ عن الفترة المذكورة سلفا، وإنّما أخذ درس من التاريخ واستوحى العبرة منه، واستحضر عناصر الهوية الجزائرية وأوردها في روايته.

2-الهوية الدينية:

لقد كان تركيز الاستدمار الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر سنة 1830 ، على محو الشخصية الجزائرية ، وقد عرف الطريق المؤدي إلى ذلك وهو نشر الفتن والخزعبلات والخرافات للقضاء على العمود الفقري لهذه الأمّة وهو الدّين الإسلامي ، لأنّه كان يعرف خطورة ما يحتويه من آيات تدعوا إلى الجهاد ودفع الظلم.

[1]. عز الدين جلاوجي ، حدوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص535.

وقد جاء هذا الاعتراف منهم عدّة مرات ونلمس ذلك في قولهم «إنّ سرّ قوّة المسلمين تكمن في الإسلام ، فعقيدته هي منشأ هذه القوة العظيمة في المسلمين » [1] ، وقد اعتبروا في أكثر من مرة أنّ هذه العقيدة هي خطر على أوربا ، وأنّ هذا الدّين هو سبب قوة المسلمين ، واستمرارهم وحال دون إخضاعهم وهذا ما أكد عليه رئيس وزراء بريطانيا بقوله: «ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[2] ، ولذا وجد الغربيون «أنّ السبيل الوحيد لغزو العالم الإسلامي وإخضاعه هو الغزو الفكري الذي يجب أن يسبق الغزو المسلّح ، فوضعوا الخطط ، والمؤامرات للإغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية »[3].

هذا بالنسبة للشرق عموما أما الوضع في الجزائر فكان يختلف تماما عنه في المشرق لأنّ الاستعمار نهج جميع العوامل الفكرية، والعسكرية خصوصا أنّ هذا الشعب لم يستطع الاستعمار إخضاعه ، وضربه بالفكر إلاّ بإخضاعه بالحديد والسلاح .

كما نهج طريقة التدمير ، وذلك بتهديم عدد كبير من المساجد وتحويلها إلى كنائس وثكنات واصطبلات ومستوصفات ، وحورب الأئمة ، وشيوخ الزوايا ، وهذا ما أكد عليه قداس محفوظ في كتابه "الجزائر صمود ومقاومات " « قاس الإسلام الجزائري من السياسة الاستعمارية الفرنسية فقدان أملاك الأوقاف ، الاستيلاء على العديد من المساجد وتحويلها عن أغراضها تدجين الشعائر الدّينية عن طريق رجال دين تعيّنهم الإدارة، سياسة المراقبة، والتفرقة بين الزوايا واستعمال المرابطية كوسيلة هيمنة، الحد من الزيارات إلى الأماكن المقدّسة ومن الحج إلى مكة وضع عراقيل

1. عز الدين الخطيب التميمي ، نظرات في الثقافة الإسلامية ، دار الشهاب ، الجزائر ،(د،ط)، 1988، ص33.
2. المرجع نفسه، ص33.
3. المرجع نفسه، ص33.

أمام تدريس اللّغة العربية لغة القرآن ، تخصيصات ضئيلة للعدالة الإسلامية، عدم الاعتراف بالأعياد الإسلامية »[1] .

لكن رجال الإصلاح والدّين أمثال الإبراهيمي، وعبد الحميد ابن باديس ، لم يعرف اليأس طريقا إلى قلوبهم ، بل جاهدوا وناضلوا بالكلمة ، وقد كان لهذا الجانب النضالي الدّيني تأثير في نفسية الشعب المتعطش للشهادة في سبيل الوطن ، فالدّين في الجزائر« قد لعب دورا هاما في الحياة السياسية القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن بوجه خاص ، بحيث كان تحرك الأحداث السياسية ، يدفع الجماهير إلى أن تناضل ضدّ الأجنبي المحتل وضدّ أطماعه وأهدافه والاستعمارية وحين ظهرت الفكرة الإصلاحية اتخذت من الدّين أحد المقومات الأساسية في الدعوة إلى النهوض والتطور بل ركزت عليه بوصفه قوّة روحية توّحد النّاس وتكتلهم ضدّ الأعداء ، واعتمدت عليه في محاربة الخلافات التي استشرت بين الأبناء ، وفي الرّد على "الفرنسية " وعلى الفكرة الصليبية التي جاءت بها جيوش الاستعمار الفرنسي »[2].

وهذه الحركة الصليبية هي أخطر ظاهرة عرفتها الجزائر ، وكادت لولا جهود رجال هذا الوطن المفدى أن تعصف بها بعيدا ، وأن تدخلها في نفق مظلم لا سبيل للخروج منه ، ليس هذا فحسب بل راحت تطلق الإشاعات على مختلف الهياكل الدّينية ، وتنزع عنها هيبتها ، وحبّ وإيمان النّاس بها ، «وإذا كانت الزوايا في الأصل قد أدّت دورا بارزا في تثقيف النّاس ، وتعليمهم

[1]. قداس محفوظ، الجزائر صمود ومقاومات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د،ط)،2012، ص57.

[2]. عبد الله ركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي ، الجزائر ،(د،ط) ،2009،ص87.

فإنّ فرنسا عرفت كيف تفرغ هذه الجمعيات من محتواها النضالي ، وتسبّل عليها ثوبا من التأثير الروحي بسيطا ، ولذلك لم تعد تستمد قوّتها إلاّ من الغموض والخرافات المهولة»[1].

وقد حاولت بعض القوى الفكرية الجزائرية التصدي لهذه النعرات الفرنسية من خلال إصدار جرائد يكون هدفها الأساسي هو طرد مثل هذه الخرافات، وغرس الإيمان في نفوس الجزائريين لأنهم ما إن يتمسكو بدينهم وسنة نبيّهم فلن يظلوا إذن أبدا ، وبالتالي ستفشل كل المحاولات الصليبية الفرنسية وهذا ما وضحه "قداس محفوظ " في قوله «ظهرت في الجزائر سنة 1913 صحيفتان باللّغة العربية اعتزمتا الدّفاع عن الإسلام ، في سياق مماثل كانتا تسعيان قبل أي شيء إلى وحدة المجتمع الإسلامي بالجزائر وإلى وقاية إيمانه من القوى الرجعية التي كانت تهدده وتشل حركته»[2].

ولتوضيح كل ما قلناه سابقا سنعمد إلى البحث عن هذه المقومات الدّينية في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"فقد تجلى في تركيز الروائي على الجانب الإيماني في المجتمع الجزائري فحاول أن يبرزه وأن يوضح دوره الكبير في وصول الجزائريين إلى قناعات بضرورة الكفاح المسلح ، وعرف الفرنسيون ذلك من خلال دراسة عميقة لأهم الأسباب ،التي أدت إلى ظهور الانتفاضات وإن كانت النتائج التي توصلوا إليها ، بعضها صحيح لأنّ الدّين فعلا هو الحافز للجهاد ، وأخرى نتائج مغرضة وكاذبة لأنها وصفت هذا المجتمع-الذي أصبح يأمن أكثر بضرورة طرد كل هؤلاء الصلبيين من وطنهم-بالجاهل وأنّ تحريضهم يتم بسهولة وأنهم بربر هماجيون ، لكن الحقيقة غير ذلك لأنّ هذا المجتمع أصبح أكثر وعي بمرور الوقت بفضل شيوخه وعلمائه

---

[1]. مجموعة من المؤلفين، اشغال ملتقى مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، دار الأمل،تيارت (ط،3)،2002، ص314.

[2]. قداس محفوظ، الجزائر صمود ومقاومات، ص283.

وهذا الأمر أكد عليه "إفون توران" بقوله :« بالدراسة المتأنية للأسباب التي أدّت إلى الانتفاضات المتعددة التي كان علينا أن نحاربها ، نجد أنّ السبب الرئيسي والتعصب الدّيني الذي من السهل استثارته في شعب جاهل كالشعب العربي ، ومستعد أيضا احتضان كل ما من شأنه أن يناهض سيطرتها عن طريق الحقد الذي يغذيه عن المسحيين إذ أنه من المفيد البحث عن طريقة يشتغل بها هؤلاء المحرضون ، هذا الولع لدى الجماهير...إنّ دراسة العادات والتقاليد الدينية لدى العرب هي وحدها تستطيع أن تقودنا إلى هذه النتيجة»[1].

وهذا ما وضحه "توفو" عضو اللجنة العلمية ورئيس لمصلحة قياس ومسح الأراضي الذي يرى خطورة هذا الوعي الدّيني في قوله:« بالنسبة إليهم الأمر لا يتعلق بالعربية أو الفرنسية وإنما بالعقائد الإسلامية والمسيحية التي تشغل باله ، فالحرب القومية تنطفئ وتختفي وتتعاظم الحرب الدّينية الحقيقية وتتطور»[2].

ولهذا كان تركيز الروائي على الجانب الدّيني في روايته

2-1 مظاهر الهوية الدّينية في الرواية:

2-1-1- ما هو مجسد في الموروث المادي:

- **المساجد:** ونلمس حضورها في الرواية نظرا لإدراك الروائي بأهميتها في التوجيه و التعليم، وبناء جيل محافظ على مقوماته الإسلامية المبنية على القرآن و السنة النبوية و بتالي وجود مجتمع قوي و متماسك، ونلمح هذا الاهتمام في الرواية في المقطع التالي:« كان المسجد من الحجارة

[1]. إفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة1830-1880، دار القصبة، الجزائر (د،ط)،2005 ص144.

[2]. المرجع نفسه، ص121.

يتربع على مساحة كبيرة ، يمدّ منارته عاليا للسماء ، الفرق شاسع بينه وبين جامعهم في العرش ، جامعهم الصغير لا يتخذ إلاّ كتّاب لتعليم القرآن الكريم»[1].

هذا الإقبال على المساجد لم يعجب فرنسا فأخذت تبحث عن السبل التي تجعل الجزائريين يفرون منه ، ووجدت الحل في بناء تمثال يخدش الحياء ويمس الجزائريين في مشاعرهم وكرامتهم وحتى عقيدتهم ، إنّها أعمال فرنسا الخالية من كلّ القيم الإنسانية والحضارية، وهي التي كانت مضرب المثل في الحرية واحترام الأديان أو ربما هكذا خيّل إلينا ، لكنها في الحقيقة غير ذلك فكل تلك الشعارات هي عبارة عن قناع جميل تظهر به أمام الرأي العام العالمي وقد ظهرت هذه الحقيقة في الرواية فيم يلي:« نصب هذا التمثال هنا منذ أكثر من خمسة و عشرين سنة أبدعه النحات الفرنسي "فرانسيس دوسانت فيدال" هل تعرف لماذا يا العربي؟

لأنّ النبع قريب من المسجد وقد أزعج الحاكم الفرنسي وجود المصلين للوضوء منه فجرا فأمر بوضع تمثال يخدش الحياء»[2].

- **الزوايا:** وتكمن أهميتها في الحفاظ على الملامح الإسلامية للمجتمع الجزائري وقد ظهرت أكثر في الصحراء، وذلك لأسباب عديدة أهمها المناخ ، فهذا المكان المناسب لانتشارها وذلك لبعدها عن المدينة وملذاتها المختلفة ، وكثرة التجمعات السكانية فيها [3].

وقد ظهر نشاط هذه الزوايا في الاحتفالات مثلا ويظهر ذلك في الرواية من خلال « قال الشيخ عمار:

---

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص148.

[2]. المرجع نفسه، ص148.

[3]. ينظر الحسين محمد سليمان ، التراث العربي الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (د،ط)،(د،ت)،ص218.

-الليلة بداية الصيف الأخضر والاحتفال بالزاوية كبير والمريدون كُثر»[1] .

كما كانت تقوم بدورها التعليمي والتوجيهي وهذا ما أكد عليه "عبد القادر خليفي" بقوله:« كانت الطرق الصوفية هي إذن المؤسسة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسسات الرسمية أمام ضربات الاستعمار الفرنسي وظلت قائمة خصوصا في الأرياف تأدي دورها الدّيني والتعليمي »[2] ، وهو ما ذهب إليه الروائي بقوله: « أما أولاد سيدي بو قبة بزاويتهم ، وبشيخهم عمار فيمثلون السلطة الدينية التي يجب أن يخضع لها الجميع ولها وحدها أن تفض النزاعات، وأن تعلن رمضان وانتهائه ، وتحدد أيام الأعياد»[3].

ولهذا يمكن القول أنّ هذا التراث الإسلامي هو الذي ميّز الأمة الجزائرية الإسلامية عن غيرها ، خصوصا عن المستعمر الفرنسي الذي حاول وبكل الطرق طمسها، ونلمس ذلك في أعمال فرنسا ومحاولاتها تغيير الملامح الإسلامية للمدن ، وهذا ما أكد عليه "غز الدين الخطيب التميمي" بقوله:« منذ غزى الفرنسيون الجزائر أخذوا يطمسون معالمها العربية الإسلامية الشرقية ويحلون المعالم الفرنسية بدلها وقد شمل ذلك كل المدن بدون استثناء »[4].

---

1. عز الدين جلاوجي حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص32.

2. عبد القادر خليفي ، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر (د،ط)،2010،ص261.

3. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص33.

4. عز الدين الخطيب التميمي ، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص33.

إذ أصبح للفرنسيين شوارعهم ومحلاتهم كأنهم في بلدهم الأصلي ولعل هذا الوضع ما جعل الروائي يعبر عن هذه الانتهاكات الصارخة والخطيرة في قوله «كل هذا الشارع هو ملك للفرنسيين فيه منازلهم وحناتهم ، وصعب عبوره»[1].

2-1-2-ما هو مجسد في المورث المعنوي الروحاني:

- **العادات والمعتقدات الدينية:** سواء كان ذلك ما تعلق بالطقوس المقدّسة والواجب احترامها من الجميع ، وهي مراسيم الخطبة أو الزواج والتي تظهر في الرواية في قوله : « تل سي الطالب شيئا من القرآن الكريم وبعض الأدعية ، التي لا يعرفها إلاّ هو في هذا المجلس رافعا صوته أحيانا مفسحا ومبينا خافضا صوته أحيانا أخرى لا تكاد تبين ثمّ قال : سيكون هذا الزواج مباركا وسيجمع بين العرشين على المحبة »[2].

كما تظهر في بعض المعاملات والتقدير والاحترام الشديد الذي يلقاه الرجل الصالح في أوساط المجتمع الجزائري ، أو بعبارة أخرى ما يعرف بالمرابط إذا توفرت فيه شروط الرهبانية والروحانية وبالتالي الابتعاد عن هذه الدنيا الزائفة ، والبحث عن الحقيقة المثالية الربانية وهنا يحدث تصديق الناس لهم في كل ما يقولونه بشكل رهيب[3] ، ويظهر هذا التقدير في الرواية«هي تذكر ذات يوم حين دخل عرش أولاد النش ، وكيف تعرض السعيد القايد ، والد القايد عباس بالأذى وكيف نزع برنسه غاضبا ودسه في ثغر النبع الّذي كان يسقى منه النّاس وصاح : يا نهر تدفق

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص149.
2. المرجع نفسه ، ص64.
3. حسين محمد سليمان ، التراث العربي الإسلامي، ص168.

شهرا ونم دهرا، وغاض الماء إلى غير رجعة ، وتسارع الناس يستسمحونه ، ويغدقون عليه العطايا والهدايا ، ولم يرضى حتى قبّل السعيد القايد يده وهامته»[1].

ووصل هذا الإيمان بهم إلى تصديقهم في كل شيء وإن كان كلامهم غير مفهوم، ويستعملون كلام رمزي لا يفهمه العامة ، ويكتفوا فقط بالتلميح له ، وما على الناس سوى البحث عن إجابات وتفسيرات لذلك الكلام[2].

ويتجلى هذا الواقع في الرواية في المقطع التالي «جلس البهلي لخضر متجشئا كما العادة وهو يقول: الأرض عطشانة دمنا يرويها ، قلوبنا حزنانة غلنا يسقيها ، حمامة حيرانة للشرق نرميها سيد القوم يحميها ، يا ناس يا ناس هو سيّد النّاس يرفع راس بلادنا ويعز نفوس ولادنا »[3].

ويتجاوز هذا التقدير الأحياء إلى الأموات من الأولياء الصالحين الّذين يحضّون بكثير من الرهبة والروحانية فتأخذ منهم البركة، والروائي أكد هذا في قوله«توافد المئات من عرش أولاد النش القرابة يقدمون القرابين ، ويقرؤون القرآن ، ويقتبسون من بركة البهلي لخضر »[4] ، ومكانة رجل الدّين لم تكن في أخذ البركة منه فحسب بل كانوا يقصدونه للتداوي وأحيانا لكتابة الحروز في قوله «كان الشيخ عمار مشغول مع بعض المرضى ، يرقيهم ويكتب الحروز والتمائم ويصارع ما سكنهم من شياطين الجن والإنس»[5].

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص78.
2. ينظر: حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي ص171.
3. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص77.
4. المرجع نفسه، ص49.
5. المرجع نفسه، ص219.

- **الشعائر الدّينية:**

-**الصلاة:**حيث تؤدى حتى في أوقات الحرب والخوف ، ويظهر هذا في قوله «في الغد حين كان الجميع يجهد نفسه في الوضوء لصلاة الظهر وصلهم نبأ مجزرة أخرى»[1]، وهذا لإدراكهم أهمية الصلاة في الإسلام ، واقتناعهم بأنّها عماد الدّين ، فمن أقامها أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدّين وهي أهم ركن على الإطلاق أذ أنّها الوحيدة التي عُنيت بالرعاية الإلاهية والوحيدة التي فُرضت في السماء ليلة الاسراء والمعراج ، فالتمسك بالدّين وشعائره هو تمسك بالهوية الاسلامية وتجسيد لها، وقد نوه لهذا الروائي في مواضع عديدة «حين رفع رأسه وهو يسبغ الوضوء لصلاة العصر، شاهد الموكب وقد أطلّ من عطف الجبل الأسود ، عجلا دخل البيت وهو يعيد ترتيب ثيابه»[2].

-**تعلّم القرآن:** ويتم عن طريق المساجد والكتاتيب ، وذلك لتعليم النشأ دينه وتحفيظه له، ولمبادئه وتطبيقه أوامره ، وانتهائه لنواهيه، وكذا الحفاظ على اللّغة العربية في نفوس الأطفال وذاكرتهم،لنشوئهم نشأة عربية فصيحة مبنية على أسس اسلامية متينة ويتجلى هذا فيم يلي « كان يقوم بيت سي الطالب ، وبجواره الجامع الّذي لم يبن للصلاة ، وإنّما لتعليم القرآن »[3] ، ومن هنا نستطيع القول أنّ اللّغة هي منبر الهوية ، أو هي النافذة التي تطل من خلالها .

-**الإيمان بالقضاء والقدر:**على الانسان أن يرضى بما كتبه له الله سبحانه وتعالى ، وأن لا يخاف ولا يجزع ، وأن يستسلم لما أراده له الله تعالى ، سواء كان خير أو شر ، ويظهر هذا في "نحن في

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص49.
2. المرجع نفسه ، ص49.
3. المرجع نفسه، ص80.

الحياة ، لا نملك أمرنا لأنّنا بيد المقادير ، وليس لنا أن نجزع ، وزواجك يا بنيتي قضاء وقدر ،وإذا أراد الله أن تكوني لغير العربي فلا راد لذلك«[1].

إذن هذه بعض المحّطات التي تناولها الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي ، في روايته المذكورة آنفا ، محاولا من خلالها إظهار دور الدّين في ترسيخ مقومات الهوية ، وكيف أنّ المجتمع الجزائري حافظ عليه بالرغم من أنّه كان في أحلك أوقاته جرّاء الاستعمار.

3-الهوية الثقافية الاجتماعية:

3-1- الهوية الثقافية

إنّ البحث عن الهوية الثقافية في أي مجتمع من المجتمعات ، هو الغوص في كل ما يميّز هذه المجتمعات ، من مقومات خاصة وسمات عامة التي تميّزها عن غيرها «وتتمثل هذه المقومات في وحدة المشاعر ووحدة التقاليد والعادات والممارسات التي يشترك فيها كل أعضاء المجتمع كالشعائر والمعتقدات الدينية واللّغة »[2].

ويزداد الحرص على هذه المقومات والخصوصيات، إذا تحدثنا عن مجتمع مستعمر في ثقافته، وهو المجتمع الجزائري أثناء الثورة، لذلك وجب البحث عن سبل للحفاظ عليها ، لأنّها السبيل لاستمرار هذا المجتمع .

لكن قبل الخوض في الخصوصيات الثقافية الجزائرية إبان الثورة والمحاولات الكبيرة للمستعمر للخلاص منها، وإحلال ثقافته بدلا منها، لا بأس أن نعرج بعض الشيء على أهميتها عند الشعوب

---

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص83.

[2]. أحمد أوزيد ، محاظرات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة ، بيروت ،(د،ط) ، 1978، ص54.

الأخرى، وعلى هذا الأساس «فإنّ لكل مجتمع إنساني ثقافته أياً كان مستوى الإجماع ونوعيته ذلك أنّ الثقافة هي منظومة رمزية من القيم والمعايير تخلع بواسطتها جماعة بشرية معينة معنى على وجودها وتجاربها ونشاطها وبهذا المعنى لكل فرد ثقافته أياً كانت مهنته أو حرفته »[1].

وبالتالي إذا أراد أي مجتمع من المجتمعات الحفاظ على كينونته وبقائه عهودا من الزمن عليه التمسك بهذه التعبيرات الثقافية لأنّه من لا ماضي له، لا مستقبل ينتظره.

وهذه الثقافة كما نعلم «لا تقتصر على المعارف والأنشطة الأدبية، والفنية والعلمية، والعقلية والروحية، والعقائدية والقيم الأخلاقية ، وإنّما تمتد وتتسع لمختلف الممارسات والتجليات العلمية والسلوكية، والحياتية الفردية منها والاجتماعية ، فضلا عن أشكال الحكم وأنماط الإنتاج والمضامين والمواقف والممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية »[2].

وبما أنّنا نتحدث عن المجتمع الجزائري الذّي ينتمي إلى الثقافة الإسلامية ، من الواجب التعرف على ماهية الثقافة الإسلامية ، إذ هي «المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سبب في بحثها كعلم التوحيد والفقه والحديث علم الأصول »[3]، كما أنّها تعتبر «ثقافة إنسانية عامة، لا تفرق بين إنسان وإنسان ، فهي صالحة لأن تكون ثقافة لكل إنسان بغض النظر عن لونه ودمه وموطنه، فهي عامة لجميع البشر، في كل زمان ومكان ،فليست خاصة بقوم ولا محصورة بمكان ولا محدودة بزمان »[4]، كيف لا وصاحبها بعث للنّاس كافة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الحق وسراجا

---

1. عز الدّين الخطيب التميمي ، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص122.
2. محمود أمين العالم ، الثقافة العربية ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، (ط،1) ، 2003، ص11.
3. عز الدين الخطيب التميمي ، النظرات في الثقافة الإسلامية ، ص11.
4. المرجع نفسه، ص23.

منيرا ، فهي ثقافة الحق والثقافة التي تحمل كل مقومات استمرارها بقائها ببقاء كتابها المقدس ، وإيمان أبناء هذه الأمة بها ، وتشبثهم العميق بها.

ولارتباط هذه الثقافة الوثيق بكل ما هو اجتماعي لابدّ أن نعرج على مفهومها الأنثروبولوجي فهي :«رؤية شاملة للعالم بمستوى أو بآخر تتجلى أو تتجسد أيضا فرديا أو مجتمعيا في المفاهيم والقيم والظواهر والسلوك والممارسات المعنوية والعلمية المختلفة توجدها اللّغة في المجتمع الواحد وإن تنوعت بتنوع فئات هذا المجتمع من حيث مواقعها الاجتماعية ومواقفها الفكرية بما يشكل الخصوصية الثقافية والقومية العامة بهذا المجتمع »[1].

ومن هنا تحمل الثقافة بعدا عالميا إنسانيا ، وهو ما ينتج عن ذلك التثاقف والتبادل بين مختلف الأجناس ، ولهذا التبادل تجليات بعضها إيجابي والآخر سلبي «أما الإيجابي فقد يتمثل في العلاقات التجارية والمتكافئة وتبادل المعارف والقيم المستنيرة ، وأما السلبي فقد يتمثل في الغزو والاحتلال والاستيطان والهيمنة الشاملة »[2].

وهذا ما حدث للمجتمع الجزائري فقد تعرض لأبشع استعمار عرفته البشرية من كل النواحي وبما أنّنا نتحدث عن الجانب الثقافي فقد عرف محاولات جمّة لطمس هويته الثقافية وأخطر أنواع الغزو الثقافي، وهنا كان لابد من ظهور صراع بين المجتمع الجزائري الساعي للتشبث بهويته وبين مستعمر غاشم سعى لمحوها والقضاء عليها لذلك نجد ما تناوله عبد المالك حمروش بقوله «لذلك نجد قضية الثقافة وما تنطوي عليه من وسائل محورية مثل التربية والتكوين ، قد بلغت مرحلة متقدمة من البلورة مما جعل مواطن الصراع تتحدد تحديدا حاسما في مختلف مراحل الدفاع عن

---

1. محمود أمين العالم، الثقافة العربية، ص12.

2. المرجع نفسه ، ص41.

الذات المستهدفة للعدوان الأخير المتكالب، وفي الفترة الاستعمارية الفرنسية بصفة خاصة حيث تعلقت إرادة الشّر بمحو الكيان الحضاري للأمّة وتخريب شخصيتها ، وإبادة الشعب وامتلاك الأرض »[1].

إنّ من يسمع عن جرائم فرنسا في حق حضارة عاشت و تكونت قبل مئات السنين و مرّت عليها عدّة أجناس لن يصدق ذلك، و يقول إنّها مجرد مبالغة أو هي مهارة خيالية لدى الكتاب والمبدعين، ولكن للأسف هي حقيقة لا خيال بل إن من عايش تلك الأحداث –من سرقات للتراث وطمس لأهم المعالم الثقافية وتحويلها عن أغراضها – سيقول بأنّ المبدعين رغم عبقريتهم إلاّ أنّهم عجزوا في التعبير بدقة عن بشاعة وحقارة فرنسا الإستدمارية .

3-1-1- مظاهر الهوية الثقافية في الرواية :

لقد سعى الروائي "عز الدّين جلاوجي " في روايته "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" إلى أن يرسم لنا صورة عن المجتمع الجزائري بكل مقوماته الثقافية في وقت كان بأمس الحاجة إلى التشبث بهذه المقومات ، والتصدي لكل النعرات الفرنسية ، والمحاولات التي كانت في أغلبها فاشلة في القضاء على الهوية الجزائرية وصهرها في الشخصية الفرنسية .

ومن أهم هذه المظاهر الثقافية التي غطّت جانب كبير في الرواية نجد :

[1]. عبد المالك حمروش ، التربية والشخصية الجزائرية العربية الاسلامية بين عبقرية ثورة التحرير وظلال الثورة المضادة ، عمارر قرفي ، الجزائر ، (د،ط) ،1990 ، ص49.

3-1-1-1- العادات والتقاليد والمعتقدات:

- **المأكولات الشعبية:**من الخصوصيات التي يتمتع بها المجتمع الجزائري عموما ، والأرياف خصوصا كرم الناس وسعيهم لراحة ضيوفهم ، وإظهار أهم مميزات المطبخ الجزائري وغنائه بمختلف المأكولات، لكن الاستعمار الفرنسي حاول إفراغ هذا الجانب الجميل من المجتمع الجزائري، وحاول غرس ثقافته المبنية على المصلحة والمادة ، وقد ظهر ذلك جليا في ما يلي «لقد عرف الاستعمار بمحاولاته الدائمة لفرض ثقافته وفكره ، وجنّد لتحقيق غايته جيوشا من المثقفين لاقتلاع "الأهالي" من جذورهم عن طريق ممارسة الغزو الثقافي المنظم الذي طال العادات والتقاليد ، وكل ما يتصل بطبيعة الهوية »[1].

لكن المجتمع الجزائري تصدى وبكل قوّة ودافع عن خصاله الفطرية الموجودة في الذاكرة الجماعية، ومن المأكولات الشعبية المشهورة نجد:

-**الكسكس** : هو أشهر الطعام في المجتمع الجزائري يقدّم في الأفراح والمناسبات والأعياد ، ونظرا لشهرته في كل ربوع الوطن ، وبتسميات مختلفة عمد الروائي إلى توظيفه في روايته وذلك من خلال «أسرعت حمامة بمثرد الكسكس مع مرق الشحن ...وأحاط الثلاثة بالمثرد يلتهمون ما في جوفه ، وراح كثير من الجيران يتوافدون لتقصي أخبار الطاهر»[2] .

---

[1]. سعيد سلاّم ، التناص التراثي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، (ط1) ، 2010، ص14.

[2]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص40.

-**الشخشوخة** : هي طعام يصنع من تفتيت الكسرة وسقيها بالمرق والزبدة ، وقد تحدث الروائي عنها ، وقد نسبها إلى الشرق الجزائري بقوله« يحفظك الله ابنتي جئت في الوقت المناسب ، لقد أخرجت الآن جرّة الزبدة سأصنع لكنّ شخشوخة لذيذة»[1].

-**المطلوع** :وهي كسرة توضع فيها خميرة حتى إذا طلعت نضجت، حاضرة تقريبا في كل الوجبات مختلفة الأشكال، وتختلف كذلك في التسمية إذ هناك من يسميها كسرة ، وهناك من يسميها مطلوع أو خبز الدار ، وغيرها من الأسماء ، وهو ما تجسد في الرواية من خلال الحديث عن الكسرة وطرق طهيها ولذتها بعد نضجها [2].

- **الأواني التقليدية** :هي من الفنون التراثية التقليدية ، التي تميز بها المجتمع الجزائري وذلك بإخراجها في صور مختلفة ومتنوعة ، فتتوارث جيل عن جيل لكي لا تندثر ،وبالتالي توثيق العلاقة بين الأجيال ، فهي أحد المقومات التي بني عليها التراث الوطني ، تظهر من خلالها أصالة الجزائريين وهويتم .

-**الفخار**: تصنع من الطين ويلعب فيها الحرفي دورا كبيرا في اخراجها على صورتها النهائية تستخدم للأكل وتخزين بعض المأكولات حفاظا عليها وعلى بقائها مدّة أطول، وقد تجلت في هذا العمل الروائي من خلال تخزين الزبدة في الإناء الفخاري، وذلك حفاظا على مدّة صلاحيتها ولاستخراجها وقت الحاجة[3].

---

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص23 .

[2]. ينظر المرجع نفسه ، ص76.

[3]. ينظر المرجع نفسه ، ص23.

-**القصعة** : وهي إناء يحمل فيه الطين لطلي الجدران كما هو موضح في الرواية[1]، وفي مناطق أخرى تستخدم للأكل ولتحظير الطعام مثل الكسكس .

- **اللباس** : ويعتبر من أهم السمات التي توضح هوية الشخص وثقافته، ففي محافظته عليه حفاظ على هوية الشعب وبالتالي إصراره على التمسك و تجسيد الذات بالرغم من محاولات الطمس التي تعرض لها، ومن أهم الألبسة التي تثبت عراقة الجزائري نجد :

"البرنوس ، القشابية ، العمامة ، سروال العرب "[2]

وقد تجلت في الرواية بصورة ملفتة، وفي ذلك تسليط الضوء على هذه الخصوصية الثقافية الجميلة في هذا المجتمع.

3-1-1-2- الثقافة الشعبية :

- **الشعر الملحون** : من أهم المظاهر الثقافية التي حاول الروائي تجسيدها أكثر من غيرها الشعر الملحون الذي كان يتغنى به بطل الرواية "العربي المستاش" متغزلا بحبيبته "حمامة " والمقتبس أحيانا من أشهر قصة حب عرفتها الجزائر ألا وهي قصة "حيزية وسعيد" التي تغنى بها "ابن قيطون " يقول :

---

[1]. ينظر عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص22.

[2]. ينظر المرجع نفسه ، ص31 ،32 ، 38 .

خَـــدْهَا وَرْدْ الصـــــبّاحْ

واقْرُنْـفـــل وضـَـــآحْ

الدّم عْلـــيـــــهْ سـَــاحْ

وقْـــتْ الضّـــــحْـويا[1]

ولعل من أهم خصوصيات هذا الشعر هو الإبانة والإضاح حتى يحقق غايته المنوطة به، خصوصا إذا علمنا أنّ معظم السكان الجزائريين في الفترة الاستعمارية أميّ، وهذا ما أكد عليه " العربي دحو" في كتابه "مقاربات في الشعر الشعبي " « إنّ الأدب الشعبي ضرورة حياتية تخص النّاس جميعا ، ولن تتأتى للتعبير ، فرص النجاح إذا لم يكن مفهوما ويستطيع تحقيق المنفعة والمتعة »[2]

وأحيانا أخرى يستعرض الشاعر ما تجود به قريحته من فن يفوح من عبق العشق والشوق وذلك في قول "العربي المستاش":

عنْـــدي حْمـامـة تْـرنْ في بـرْج عـالي

حـرْقـتْ قـلـبي وْ شـغْلـتْ لي بالي

صـوْتْـها لـحـنْ مْـشكلْ لالـي يا لالـي

مـشْيـتْـها حـجْـلـة تْـثيـرْ دْلالـي

عـيْـنـيها سـودة مذْبالـة غيْرت احْوالـي

وْسـنْـها جـوْهـر مْـرتّـبْ يـلْـمع وْلالـي

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص19.

[2]. دحو العربي ، مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر ، موفم ، الجزائر ، (د،ط) ، 2007 ، ص272.

نـبـكي ونـوح ونـشـكي للـرّب الْعالـي

يا ربـي داوي لجـْراح واكْشف هْـوالـي [1]

كما لاحظنا اهتماما من قبل الروائي في توظيف مقولات وحكم تفوح بعبق من تاريخ الجزائر ، ومنها مقولة "ما يبقى في الوادي غير حجارته" ، هذا القول يحمل شحنة تاريخية من عبق التاريخ[2] ، وكان ذلك لتأكيد على أنّ التعمير في الجزائر إنّما يكون لأهلها أما من دخلها عنوة وسلب أهلها الحياة ، فلابد أن يغادرها يوما بدون رجعة.

3-1-1-3- معاني الأسماء المستعملة في الرواية :

-**العربي الموستاش** :مما هو معروف في الثقافة الجزائرية تدل كلمة الموستاش على الرجولة والفحولة وفي نفس الوقت العطف والحنان على الآخرين ومن رجولة العربي الموستاش من خلال الرواية أنّه لم ينسى ثأر أبيه إذ أنّه يسعى دائما إلى هدر دم القايد عباس فهو بقدر ما تعلم من الطبيعة النقاء والطُهر والمسامحة ، بقدر ما تعلم منها القسوة وفي ذلك انصاف وعدالة [3]

كما تدل على الرجل العربي الوسيم صاحب الشوارب الكثيفة مثلما ما هو عليه بطل الرواية العربي الموستاش « كان يجلس العربي مجللا بصمته ممتد القامة أميل إلى النحافة، أسمر اللون حاد الأنف أسود العينين رقيق الشفتين كثّ الشارب » [4]

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص40.
2. ينظر سعيد سلام ، التناص التراثي، ص84.
3. ينظر عز الدين جلاوجي ، ححوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص40،59.
4. المرجع نفسه ،ص20.

-**بلخير** : وتدل الكلمة على معناها فهو رجل تقي ونقي ، يخاف الله يحسن إلى اليتيم ويقدره ، ويعطي له المكانة الراقية ، وتمثل هذا التقدير في شخص عيوبة الذي مات أباه « لقد كان لعيوبة حضوة كبيرة عند الشيخ بلخير وعند زوجته أيضا ، تربى يتيما في أولاد سيدي علي ، يحاط بالمحبة والرأفة أينما توجه ، ويفضل على الكبار والصغار وكان بلخير وهو كبير العرش يمنحه ما لا يمنح لغيره» [1].

-**سرولة** : وتعني العلو والرفعة والرقي والشموخ مثل شجرة السرو التي لا تنكسر وهذا ما توضح في الرواية[2].

-**عيوبة** : قد أعطى له الروائي هذا الاسم لأنّه ينطبق مع مواصفاته في الرواية فهو مصاب بعاهة جعلته أعرج إذ يقول « ضحك عيوبة وقال:

-ألم يقرأ لنا سي الطالب من كتابه الأصفر أنّ كلّ ذي عاهة جبار ، وضرب مثالا بي أنا»[3].

هذه بعض الأسماء التي حاولنا الوصول إلى معانيها انطلاقا من الدور التي كانت تأديه في الرواية.

3-1-1-4- المظاهر الثقافية الفنية :

لكل أمة من الأمم مظاهر ثقافية فنية تبرز شخصيتها ، وتوثق هويتها ولإدراك الروائي لأهمية هذه المظاهر الثقافية ، في ترسيخ فكرة الهوية والحفاظ عليها لإيصالها إلى الأجيال اللاحقة ،عمد

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ،ص16.
2. ينظر المرجع نفسه ص62.
3. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ص17.

للحديث عن هذه المظاهر ودورها في تصوير الواقع الثقافي في ذلك الوقت ، وعن الصعوبات التي واجهها الفنانين من قبل السلطات الاستعمارية ، ومن أهم هذه المظاهر الفنية نجد المسرح، الموسيقى ، فن التراث .

-**المسرح** : يعتبر وسيلة للتشبث بالهوية الثقافية والمحافظة على التراث ، ولعلم المثقفين الجزائريين أهميته عملوا على تأسيسه ، متخذين الأحداث السائدة آنذاك موضوع له ، وبالتالي جعله وسيلة للتعبير والتوعية إذ من خلاله يستطيع الشعب استعاب الوضع وفهمه وكذا فهم كل المؤامرات التي تحاك ضده .

-**الموسيقى** : أدت الفرق الموسيقية دورها في التوعية والتنوير ، والتعبير عن الأوضاع المزرية التي يعيشها الجزائريون إبان الثورة ، وأهم من هذا كله هو تمثيل هذه الفرق الموسيقية للجزائر في المحافل الدولية ، وتأكيدهم على وجودها وكذا تعريف الرأي العام بالتراث الجزائري وأهم مميزاته ولعل وجود مثل هذه الفرق الموسيقية دليل على وجود الوعي الوطني بالرغم من أنه مقموع إلى أنّ الحلم والأمل يبقى قائم مادام هناك رجال قلبهم ينبض من أجل الوطن الغالي ، وهذا ما أكد عليه الروائي عز الدين جلاوجي بقوله: « ظلّ حسان بلخيرد طول الطريق يحدث سي رابح عن أحلامه التي لا تنتهي يحلم أن يأسس الكشافة الجزائرية ، ويحلم أن يؤسس فريقا لكرة القدم ، ويحلم أن يؤسس فرق للمسرح وأخرى للموسيقى ويحلم أن يأسس جمعيات نسوية ، ويحلم أن يقيم مدارس وجامعات تدرس باللّغة العربية »[1] .

وهذا الوعي بأهمية الموروث الثقافي ودوره في الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري الثقافية من خلال البحث عن استرجاع كل ما يخص هذا الوطن من مقومات ثقافية نهبها

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص452.

المعمرون بالتواطؤ مع السلطات الفرنسية ، هذه الغيرة على كل ما هو جزائري تجسدت في شخوص روائية متمثلة في "العربي الموستاش" ، "أمقران " و"سي الهادي " الذين استرجعوا قطع أثرية نهبها "فرانكو" اللعين وهذا ما هو موضح في المقطع التالي « وراح بسرعة يفتحان صناديق صغيرة ، وما يكاد الواحد منهما يرى فيها آثار حتى يسرع إلى حملها وشحنها في السيارة وإن هي إلاّ نصف ساعة حتى كادت سيارة أمقران السوداء تلامس الأرض وهي تئن تحت حمولتها »[1].

هذه بعض الخصوصيات الثقافية التي حاول الروائي أن يوصلها إلينا ، بأسلوب روائي فني جميل ، موضحا، أهم التحديات التي واجهها هذا الشعب الأبي المناضل في سبيل حفظ ذاكرته وهويته من الضياع .

3-2-الهوية الاجتماعية:

يعتبر اكتساب الهوية بمثابة عتبة يتم من خلالها الولوج إلى ثقافة أو مجتمع أو بيئة جماعية مبنية على علاقات مشتركة فهذا الانتماء يوجه الإحساس بالهوية ، ويشكل وعي الفرد بانتسابه إلى جماعة ما ، فالهوية الاجتماعية هي مجموعة من القضايا الاجتماعية ، يوظف فيها الفرد أدواره الاجتماعية ، ويقوم بأنشطته المتنوعة ، من أجل تحقيق مكانة له في مجتمعه ، وذلك بما يتوافق مع عمره وجنسه وأسلوب تنشأته الاجتماعية ، « والهوية تتشابك وتتداخل في كل مركب نتيجة لتغر المجتمع ، وتشابك علاقاته وتنوع تفاعلاته في سياق الأبعاد البنائية والوظيفية »[2] ، ومن هنا نقول أنّ الهوية موجودة في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية بحيث تصب في المجتمع من خلال الشخصية والأدوار التي تؤديها في البيئة الإنسانية .

---

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص528.

[2]. أبو زيد أحمد ، البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، (د،ط) ، 1987، ص61.

فالهوية الاجتماعية « جزء من مفهوم الذات لدى الفرد يشتق من معرفته بعضويته في الجماعة واكتسابه المعاني القيمة والوجدانية المتعلقة بهذه العضوية »[1] ، كما أنّها هي التي تعبر عن نمط حياة الجماعة ، وشكل انتظامهم الاجتماعي ، وعاداتهم وتقاليدهم.

3-2-1-تجليات الهوية الاجتماعية في الرواية :

3-2-1-1-العلاقات : كانت القوات الفرنسية تعمل على ضرب المجتمع في تصميم بنيته الاجتماعية والبشرية،حتى لا تكون له قائمة في المستقبل تهدد وجودهم ، فكان ذلك بمثابة محنة للمجتمع ، إذ حاول بكل الطرق والوسائل التغلب عليها من أجل الحفاظ على كيانه ، ووجوده وهويته ، وقد تطرق إلى هذا الروائي ، حيث ذكر العلاقة التي كانت بين قرية أولاد النش ، وقرية أولاد سيدي علي،التي كانت قائمة على العداء والثأر ، وذلك لأنّ أولاد النش كانوا يتعاملون مع فرنسا ، وهذا واضح من خلال الرواية حيث نجد أنّ زوجت بلخير تقول لأولادها « إذا كان بلخير رجلا وترك رجالا لابد أن يثأروا له »[2] ،مع العلم أن، بلخير هو زعيم قرية أولاد سيدي علي الذي قُتل من قبل أولاد النش غدرا ، وذا ما هو مجسد في « كان الزيتوني يعلم أنّ أولاد النش هم من قتلوا أباه ، إذ بين العرشين صراعات تخبوا حينا وتلتهب حينا آخر ، وصار لأولاد النش في السنوات الأخيرة سيطرة مطلقة بعد أن اشتد عودهم ، وقويت شوكتهم ، وأطلق الحاكم الفرنسي أياديهم في كل القبائل المحيطة بهم ، يحقنونها بحبال غطرستهم ، فزادت أموالهم وأراضيهم ومواشيهم ، يكفي أن يبدر منك ما يرونه سوء كأن ترفض دفع الغرامة حتى يسارعوا إلى اغتصاب

[1]. زايد أحمد ، سكولوجية العلاقات بين الجماعات ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد326 ، 2006 ، ص19.

[2]. عز الدين جلاوجي حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص15.

ما لديك من أرض ولو كانت بوراً » [1]«فالاستعمار فرض العزلة على القرى والأرياف»[2] ، وعمل على تشتت الأواصر والعلاقات ليستطيع تلبية أهدافه وتطبيق سياسته المبنية على الزيف والمخادعة .

أما بخصوص العلاقة بين الأسر فقد كانت العائلة الجزائرية مبنية على الزواج الذي هو أساس لبناء الأسر كما أنّ « استقامة المرأة مبدأ هام لكل مجتمع منظم ، وأساس صفاء السلالة ففي العائلة الجزائرية لا مكان للطفل الغير شرعي »[3] ، وقد ذكر الروائي الزواج في « هذه الحجرة شهدت لقاءنا الأول ليلة الزواج ،أحمل لها حميمية كبيرة ،يجب أن تبدئي بطلائها ، وعليك أن تحكي للنسوة قصة حبنا »[4] كما على المرأة أن تؤدي دورها في العائلة و تحقق وجودها كخادم على عاتقها مسؤولية السير الحسن للمنزل و نلمس ذلك في « أسرع الزيتوني إلى بيته فحملت إليه العلجة بنت المكي الماء الساخن ،و قطعة صابون صغيرة اقتناها مرة في المدينة ،و مازال يستعملها منذ خمسة أشهر ،فيحس بالانتعاش ، سريعا اغتسل بها فتركت عليه عطرا فواحا ،أعادها إلى زوجته فلفتها بعناية » [5] فالمرأة في بلادنا كانت « و مازالت قلعة الصمود و المقاومة وعماد الأسرة و خزان الوطنية حافظت على الانتماء الحضاري للأمة عقيدة و سلوكا ».[6]

كما كانت السلطة الأبوية المطلقة في البيت ضرورة حتمية ، وعلى الجميع احترامها ،وعدم تخطي حدودها لأنّ تخطيها هو خرق لحدود الله سبحانه وتعالى ، وفي العمل الروائي الذي هو بين

---

1. عز الدين جلاوجي حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص20-21.
2. أحمد منور ، الأدب الجزائري المكتوب باللسان اللفرنسي نشأته تطوره وقضاياه ، ص279 .
3. مجموعة من المؤلفين، اشغال ملتقى مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية ،ص305.
4. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص22.
5. المرجع نفسه، ص20.
6. عبد القادر خليفي ، محطات من تاريخ الجزائر ، ص352.

أيدينا محطات تعكس ذلك ، من بينها حفاظ الزيتوني على عهد أبيه في مواصلة احسانه لعيوبة «حين قُتل بلخير ، أحس عيوبة أنّ حياته قد انتهت ، وأنّ مكانته ستعصف بها الرياح ، غير أنّ الزيتوني حفظ عهد أبيه ، وبقي يمنح عيوبة ما كان يمنحه أبوه ، ويحيطه بكثير من المحبة والتقدير »[1] ، وفي مكان آخر « لقد أقنعته بفكرة الزواج من ابنة خالته ، قلت له "يجب أن تكون عاقلا ، هذه وصية أمك المرحومة واقتنع حزينا وهو يقول : "أما زكية بنت البغدادي فسأتزوجها ولو ضرة عليها " ، وانفجر باكيا »[2] .

من خلال هذا الجو الأسري ترسم هوية المجتمع الجزائري ، من خلال ذلك التلاحم والتشابك في الحلقات الأسرية ، المبنية أساسا على الاحترام والتقدير للآباء والسير على نهجهم وإن كان في بعض الأحيان فيه نوع من القسوة على الابناء .

كما تجدر الاشارة إلى أنّ الجزء الاجتماعي من الهوية يرتبط بطريقة تفسير ذلك الفرد لوجوده ضمن المجتمع ، وإعادة تعريفه لشخصيته ، وذاته وشعوره بالألفة والتنافس والمشاركة والمكانة ضمن الآخرين ، لذلك يصبح الإحساس بالهوية قضية جوهرية لدى الأفراد ، فكان «ترسيخ ضمير نحن في نفوسهم كتعبير جماعي عن وحدتهم كأبناء أمّة واحدة في مواجهة مفهوم "هم" الّذي به يعبرون عن كل مالا ينتمي إلى هويتهم وأمتهم ، إنّنا هنا بصدد فكرة الولاء الواحد والرؤية الواحدة للآخر وللعالم »[3]، وقد ظهر ذلك في مواطن عديدة منها «دم بلخير ثأرنا جميعا»[4] وجاء في موضع آخر « رد خليفة و قد ظهر على محياه إجهاد و تعب :

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص20.
2. المرجع نفسه، ص19.
3. احمد محمد وهبان، الهوية العربية في ظل العولمة، الجمعية السعودية للعلوم السياسية ، (د،ط) ، (د،ت)،ص05 .
4. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر،ص291.

-هذه الحادثة مريبة؛ تحتم علينا الحذر في كل تحركاتنا .

رفع العربي الموستاش عينيه في الجميع و قال :

الحمد لله أن انتهى الأمر هكذا ، سنمنع بلخير من الخروج إلى الشارع مرة ثانية»[1]، كما كانت روح الجماعة غالبة في النداء للثورة «سأل يوسف الروج : أين تقوم الثورات في العادة ؟

-ردّ سي رابح سريعا :

-سنفجرها في كل مدننا .

أضاف العربي الموستاش :

قاطعه يوسف الروج : «عظيم لقد حضرنا الأمور داخل المدينة فماذا فعلنا في جبالنا؟»[2].

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ أنّ الجميع كان يتكلم بضمير "نحن" من أجل التعبير عن الوحدة والتكامل .

3-2-1-1-مظاهر الحياة : وتظهر الهوية الاجتماعية كذلك من خلال مظاهر الحياة والبيئة الجزائرية ، وقد تناولها الروائي بالوصف للمدن والقرى والجبال والغابات والوديان والحيوانات ، وقد عكس الروائي هذه المظاهر في كثيير من المواضع نذكر منها « الشيخ لكحل يهرول خلف حماره المحمل ببرميلي ماء وقد عاد بهما من الحاسي من فج الجبل ، ظهر أخوه العربي يسوق الأغنام

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص340.

[2]. المرجع نفسه، ص468.

يتبعه الجواد الأدهم ، وقد أمسك بحبل لجامه ، متجها إلى الحاسي ، وامتلأ أنفه برائحة البرواق الذي غزى الربوة كلها »[1] .

كما برز في المرحلة الاستعمارية « مبدعون شعبيون عبروا عن آلام الجماعة وآمالها بواسطة الكلمة المنطوقة المعبرة عن الوجدان الشعبي فبكو واحتجوا وسخطوا على الأوضاع المزرية التي كان الشعب يعيشها، وكانت الحكاية والقصيدة أو المقطوعة هي أبرز أنواع القول الشعبية آنذاك»[2].

وقد كان العربي الموستاش من هؤلاء المبدعين يقول :

يا شَعْـبـــي الغـالي ثـورْ
حْـرامْ تـبْـقى مـحْـقــورْ
عْــداكْ مْـــصُّـوا دمــك
وانْـــت راقـــدْ مـخْـمُـورْ
حـلْ عـيْنيك لاتبع عباسْ
تْضيعْ حْياتك وتْولي بـورْ
فرنْـسا غدارة ما فيها أمانْ[3]

وفي موضع آخر نجد كذلك قصيدة تجسدت فيها روح الجماعة وهي :

ياخاوْتي ليلْ الحقْرة طَـــالْ والظلـــمْ طْغـــَى واجَّبَـــرْ
وْسيفْ الحَقْ ضْعُفْ ومَـال وسيفْ الْبَاطلْ تَاه وتعَســرْ

---

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص16.
2. مجموعة من المؤلفين، أشغال ملتقى مظاهر وحدة المجتمع الجزائري، ص125.
3. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص444.

وْطَنَّا في مْحاَيـتـنْ واهْــوال وكُسْرُو كْبيـرْ ماَ يــجبَّـــرْ

تْلايْمتْ عْليهْ اعْفَرَّتْ واغْوَالْ واذْياَبَه متْوحْشه تاكل وتُنْتُرْ

متّلْتُ واَناَ نْخَمّمْ فَ الْخــيالْ كي غْزاَلَة تمشي وْ تتْـعثـرْ[1]

وهكذا نتوصل إلى أنّ الشعر الشعبي ، رصد مختلف الأحداث التي شهدتها البلاد ، وسجل الأوضاع السيئة التي عاشها المجتمع الجزائري ، وكذا السارة منها ، وعبّر عما كان يختلج في فؤاده من أحاسيس بعد أن فقد حريته فكان الشعر متنفس لمكنونه .

لكن وللأسف رغم كل تلك المظاهر الإيجابية السابقة لابد أن نشير إلى وجود بعض الظواهر الاجتماعية الدخيلة علينا ، والتي ضربت هويتنا في العمق ، ومزقت ذلك النسيج الاجتماعي المتماسك المنبني على الأخلاق الإسلامية والعادات العربية النبيلة ومن هذه الظواهر نجد الخمر الذي يعتبر من المخالفات العظيمة في الدين الإسلامي ومن العادات الذميمة الدخيلة على المجتمع خصوصا أنّها أصبحت مسموحة ومصرح بها مثلها مثل المشروبات العادية ، ولعل هدف فرنسا من ذلك هو ضرب المجتمع الجزائري في هويته الإسلامية ونسف لعاداته اللاجتماعية ولعل خطرها الأكبر هو اشغال الشباب الجزائري بالمتعة واللهو وإسرافه عن أهم أمر يجب الخوض فيه وهو طرد فرنسا ومنعها من التأثير فينا ، وقد تجلى ذلك في الرواية من خلال شخصية حمو القبائلي في قوله « ما الذي دفعك للسكر يا حمو يا وليدي ، أنت شاب طيب ، وخلفت وراءك عائلتك تنتظر إعالتك»[2] .

---

[1]. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص527.

[2]. المرجع نفسه ، ص385.

ومن المظاهر الاجتماعية الخطيرة أيضا نجد دار الفساد التي انتشرت في ربوع الوطن ، وسطيف نموذج حي عن ذلك ، وقد تجسدت في شخوص روائية منها ، حدة المخرومة وسلافة الرومية إذ أنّ هذه اللأخيرة وجدت نفسها في أحضان الذئاب تنهش جسدها رغما عنها وذلك من خلال مايلي « لم تسلم مذ خلقت من لسعات الدهر الخؤون الذي سرق منها أبويها الفقيرين صغيرة ، ثم رمى بها في حضن زوج كنود يصلي للفرنك أناء الليل وأطراف النهار ، ولم تجد من حل لتنقذ نفسها من براثينه وبراثين أولاده، الذين تجرؤوا حتى على طلب كؤوس من اللذة معها سوى أن تفر بنفسها إلى المدينة صارخة :

لما خلقتني يارب جميلة فاتنة ؟

وما كادت تطأ قدماها المدينة حتى حاصرتها الذئاب المسعورة لتجد نفسها عاهرة في ماخور المدينة ، يصهل فوق جمالها كلّ من هب ودب ، لتحولهم بعدها إلى مجرد كلاب تلهث خلفها وتتصارع من أجلها»[1]، وتجسدت كذلك في شخصية حدة المخرومة في قوله «انحدر من هنا ثم در يمينا ، أمام بابه ستجد حدّة المخرومة تسف الدخان سفا ، وعلى قدر هديتك لها ستدلك على الأحلى والأجمل »[2] .

هذه الظاهرة الخطيرة حذر الله منها ومن نتائجها الوخيمة على الفرد والمجتمع مما تحدثه من تفكك أسري وأمراض خطيرة.

1. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر ، ص346-347.
2. المرجع نفسه، ص254.

هذه أهم المظاهر الهدامة التي واجهت الأمة الجزائرية وضربتها في شخصيتها وهويتها الاسلامية لكن مع وجود علماء ومصلحين يسعون دائما إلى الحفاظ على تماسك هذا المجتمع لاخوف على هذه الأمّة ولا على مصيرها .

من خلال خوضنا غمار هذه التجربة ، حاولنا تسليط الضوء على أهم المظاهر ومجمل السمات التي تصور هوية الإنسان الجزائري ، وعمدنا إلى توضيح أهم الثوابت المميزة له ، وكان ذلك في عرض يشمل جميع النواحي سواء كانت المادية من لباس ومأكولات ومباني ، أو حتى المعنوية وهي ما يتعلق بالسلوك والمعاملات وطريقة العيش ، لنصل في الأخير إلى جملة من الملاحظات والنتائج حول هذا العمل ، ولعل أهمها مايلي :

-أنّ الهوية لها مفهوم واسع وشاسع ، ضبابي لذلك يصعب تحديد مفهوم واحد لها ، فهي تختلف حسب اختلاف المدارس الفكرية والمذاهب الفلسفية .

-أنّ الهوية والآخر تحكمهما علاقة تقابلية مبنية على التضاد وتكمن أهمية أحدهما في حضور الآخر.

-أنّ اللغة هي عنوان الهوية ، والطريق المؤدي إلى معرفة الخصائص والمميزات التي تميز أي شخص عن غيره.

-تتمظهر الهوية في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر من خلال ثلاث مظاهر :

-الهوية الوطنية : ونقصد بها الانتماء ، وهي التي تبنى عليها هوية أي انسان فمن لا وطن له لا هوية له ولا انتماء.

-الهوية الدينية : وتتمظهر ممن خلال الممارسات الدينية والعادات العقائدية ومختلف الاحتفالات التي تقام في الزوايا والمساجد.

-الهوية الاجتماعية والثقافية : وتتمظهر من خلال ما يتميز به المجتمع من الموروث الثقافي والاجتماعي الذي يميزه عن غيره من عادات وتقاليد ومعاملات ومختلف العلاقات التي تجمع بين الناس.

إنّ هذا البحث ليس الأول في هذا المجال وأكيد لن يكون الأخير نظرا لأهميته في التنويه بأهمية تراثنا وهويتنا وأصالتنا , وضرورة الحفاظ عليها، ولذلك نتمنى أن يكون هذا البحث المتواضع عبارة عن بذرة تصان وتسقى ببحوث وجهود باحثين جدد لإثرائه ، وإكمال نقاط الضعف فيه لأنّ موضوع الهوية موضوع شاسع وهو رهان كبيير من رهانات العصر للوقوف في وجه كل المحاولات الغربية ، فالمسؤولية جماعية بدءا من الفرد البسيط إلى المثقف الذي يجبب أن يلعب دوره في هذا المجال، وهذا ما حاولنا فعله في هذا البحث الذي يعتبر محاولة نتمنى أن تليها محاولات جادة في هذا المجال الواسع والضروري في نفس الوقت.

قائمة المصادر والمراجع :

1- المراجع العربية:

1. أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (د،ط) ، 1927.
2. أحمد أوزيد، محاظرات في الأنتربولوجيا الثقافية، دار النهضة ، بيروت ، (د،ط) ، 1927.
3. أحمد زايد، سكولوجية العلاقات بين الجماعات ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد320.
4. أحمد محمد وهاب ، الهويةة العربية في ظل العولمة ، الجمعية السعودية للعلوم السياسية، (د،ط) ، (د،ت).
5. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه ، ديوانن المطبوعات الجامعية ، (د،ط) ، الجزائر ، 2007.
6. أمين معلوف، الهويات القاتلة، ورد، سوريا ، (ط،1) ،1999.
7. ايفون توران ، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880، دار القصبة ، الجزائر ، 2005.
8. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، (د،ط) ، بيروت لبنان ،(د،ت) .
9. الحسين محمد سليمان ، التراث العربي الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (د،ط)، (د،ت) .
10. دحو العربي ، مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر ، موفم، الجزائر، (د،ط)، 2007.
11. سعيد سلام، التناص التراثي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،(ط،1) ،2010.

12. صالح بلعيد ، في الهوية الوطنية، دار الأمل ،(د،ط) ، (د،ت).

13. عباس جرار، مكونات الهوية الثقافية، المغربية، كتاب العلم السلسلة الجديدة، المغرب، (ط،1)، 1988.

14. عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ط،2) ، 2007.

15. عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار واالتحرر في إفريقيا وآسيا، دار هومة، الجزائر ، (د،ط)،2012.

16. عبد الرحمن محمد السيد ، مقياس موضوعي لرتب الهوية الاديولوجية والاجتماعية، دار قباء ، (د،ط) ، 1898.

17. عبد القادر خليفي، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة1830-1962، ديوان المطبوعات الجامية ، الجزائرية ،(د،ط) ،2010.

18. عبد القاهر الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ،(ط،2) ، بيروت لبنان ، 2003.

19. عبد الله ابراهيم ، المركزية الاسلامية ،صورة الآخر في المخيال الاسلامي خلال القرون الوسطى ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء المغرب ، (ط،1) ،2011.

20. عبد الله ركيبي ، الشعر الديني الجزائريي الحديث ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، (د،ط)، 2009.

21. عبد المالك حمروش، التربية والشخصية الجزائرية العربية الاسلامية بين عبقرية ثورة التحرير وظلال الثورة المضادة، عمار خرفي، الجزائر (د،ط) ، 1990.

22. عبد المجيد عمراني ، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962، دار الشهاب ، باتنة ، (د،ط) ، (د،ت) .

23. عز الدين الخطيب التميمي ، نظرات في الثقافة الاسلامية، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د،ط) ، 1999.

24. عز الدين جلاوجي ، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، الروائع ، الجزائر ، (ط،1) ، 2011.

25. قداسا محفوظ ، الجزائر صمود ومقاومات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د،ط) ، 2012.

26. لويس معلوف ، المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، بيروت ، (ط،8) ، (د،ت).

27. مجموعة من المؤلفين، أشغال الملتقى، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، الأمل للدراسات ، تيارت ، (ط،3) ،2002.

28. محمد الطيب العلوي ، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، دار الأمل ، تيارت ، (ط ،3) ، 2002 .

29. محمد أمين العالم، الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط،1)، 2003.

30. محمد بحياتي، دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، (د،ط) ، 2005.

31. محمد فهمي حجازي ، البحث اللغويي ، دار غريب ، القاهرة ، (د،ط) ،(د،ت).

-المقالات :

1. بو عبد الله غلام الله ، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني ، دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر (د،ط) ،2007.

فهرس المحتويات

مقدمة.....5

الفصل الأول: في مفهوم الهوية

1- مفهوم الهوية.....9

2- الهوية والآخر.....14

3- الهوية واللغة.....18

الفصل الثاني :تجليات الهوية الجزائرية في رواية" حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي

1- الهوية الوطنية.....23

2- الهوية الدينية.....32

3- الهوية الثقافية والاجتماعية.....42

خاتمة.....62

قائمة المصادر المراجع.....64